

أحكام وفوائد وحكم ودرر من أقوال السلف

كتبه
أحمد عبد الرحمن

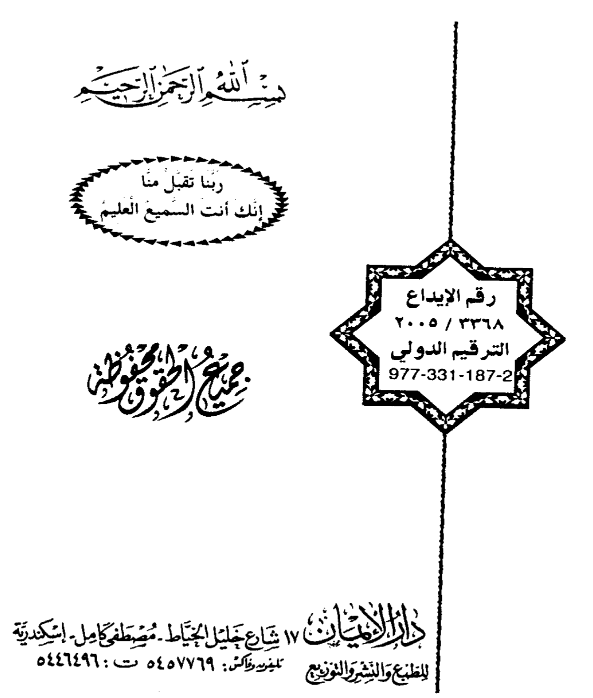






لَا تَغْضَبْ ﷺ

أَحْكَامٌ وَفَوَائِدُ وَحِكَمٌ وَدُرَرٌ مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٣٣٦٨ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي
977-331-187-2

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة

بسم الله، والحمد لله، وصلاةً وسلامًا على رسول الله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد.. فقد كتبت سطور هذه الرسالة عن الغضب في شهر رمضان، ولعلها كانت مناسبة تلك التي ينشط فيها الشيطان بأساليبه في المجاهدة مع كل صائم، فيوقع هذا اللعين بين المسلمين في نهار صيامهم، ناصبًا شباكه المنسوجة من خلافات واهية، نافخًا فيها حتى تشتعل نار الغضب بينهم، وربما تمتد بألسنتها لتصل إلى كبيرة من الكبائر.

وحقيقة الأمر أن تلك الشباك لا يقع فيها سوى صائمي العادة، أما صائموا العبادة فيعلمون أن الصيام كتب عليهم لعلهم يتقون.

ومن منطلق تقوى المسلم لربه، نجده يخرج من بيته في رمضان متحصنًا بكتاب الله - عزَّ وجلَّ -، وحاملاً بطاقة الصائمين المختومة بخاتم النبوة، والمكتوب عليها: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب**[1]، **فإن سابه أحد أو قاتله فَلْيقل: إني امرؤ صائم**» (أخرجه البخاري عن أبي هريرة).

والغضب طبيعة بشرية ابتلى الله - سبحانه وتعالى - بها بني آدم، والكيس من يسعى بهدى الإسلام للوصول إلى ما يعالج هذه الآفة المذمومة، ولهذا كان من طبيعة المسلمين العاملين أن يمروا على الغضب مر الكرام، مجتنبين الوقوع في شباكه، ومتذكرين على الدوام تعاليم دينهم في جميع أحوالهم، ومنها ما أشار إليه معلم البشرية النبي الأمي ﷺ حين يقول في هذا الشأن: «**ليس الشديد بالصُّرعة،**

---

(١) اصطخب القوم: تصايحوا وتضاربوا.

وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» (رواه الإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة).

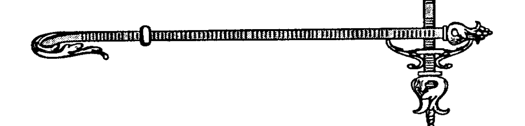
وتجب الإشارة هنا إلى أن الغضب منه المحمود، ومنه المذموم، وهو ما بيَّنَّاه بتوفيق من الله - عزَّ وجلَّ - في هذه الرسالة، كما بيَّنَّا طرق وأساليب مجاهدة الغضب المذموم وكيفية ذبحه ومعالجة آثاره كما جاء بالكتاب والسنة.

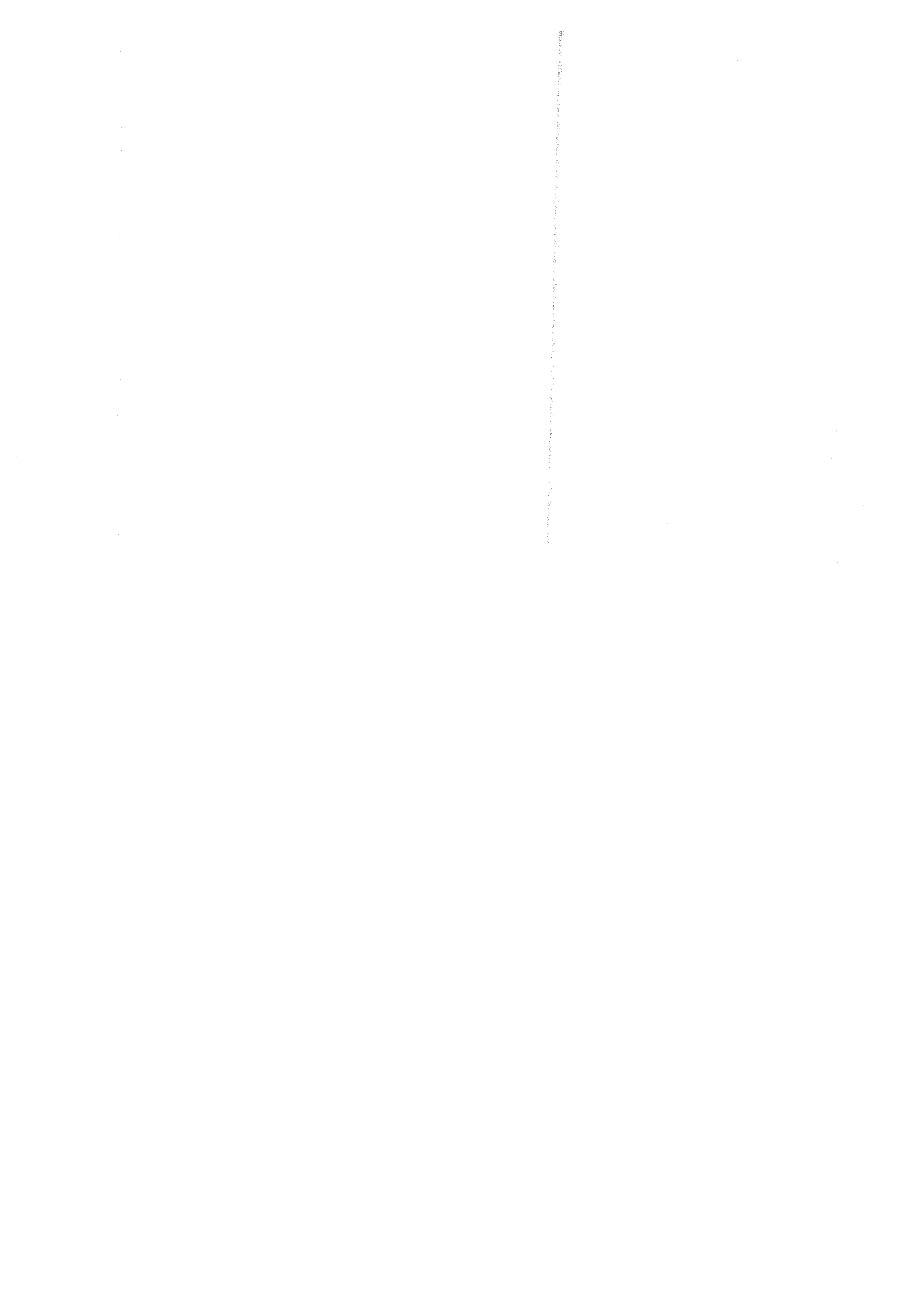
والله نسأل التوفيق والثبات على دينه، كما نسأله سبحانه أن يتقبل منا هذا العمل ويجعله حسنة في ميزاننا.

أحمد عبد الرحمن

الفصل الأول

* أول غاضب على الأرض.
* حقيقة الغضب وأقسامه.
* بيان ذم الغضب وآثاره.
* مساوئ الغضب وأسبابه.
* لا يمين ولا طلاق لغضبان.
* دعاء المختار ودعاء الغضبان.
* ومن الأفعال ما يُعذر بالغضب.
* احذروا غضب الله.
* رحمة الله تغلب غضبه.





قابيل ...

أول من سن ...

قال الله تعالى: ﴿وا ... ق إذ قرَّبا قُرْبانًا
فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ من ... ما يتقبَّلُ اللَّهُ من
الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يد ... ي إليْكَ لأَقْتُلَكَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) ... مكَ فَتَكُونَ مِنْ
أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّا ... تْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ
فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة ...

من فوهة بركان الـ ... جريمة قتل،
ليسيل أول دم بشري على ...

ذكر السدي عن أبي ... لح، عن ابن
عباس، وعن مرة عن ... عن ناس من
الصحابة: أن آدم كان ي ... شى الآخر،
وأن هابيل أراد أن يتزوج ... أكبر من
هابيل)، وأخت قابيل أ ... يستأثر بها

اخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانًا، وذهب آدم ليحج إلى مكة.

فلما ذهب قربا قربانهما، فقرب هابيل جذعة[1] سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين.

ورُوي عن ابن عباس من وجوه أُخر، وعن عبد الله بن عمرو، وقال عبد الله بن عمرو: وايم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده.

وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم عليه السلام كان مباشرًا لتقريبهما القربان والتقبل من هابيل دون قابيل، فقال قابيل لأبيه وهو غضبان: إنما تُقبل منه لأنك دعوت له ولم تدع لي، وتوعد أخاه فيما بينه وبينه.

---

(١) جذعة: شاة.

فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي، فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما بطأ به، فلما ذهب إذ هو به، فقال في غيظ: تُقُبِلَ منك، ولم يُتَقبل مني!!، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين، زاد غضب قابيل، وجاء الشيطان يصيح به: اقتله واسترح، فنظر حوله فوجد صخرة (وقيل: حديدة) فحملها وذهب إلى أخيه كالمجنون وحذفه بها، فسقط هابيل مقتولاً، وجرى أول دم على الأرض، وقوله لما توعده بالقتل: ﴿ لئن بَسَطتَ إِلَيَّ يدكَ لتقتُلني مَا أنَا بِبَاسِطٍ يدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٨)، دل على خلق حسن، وخوف من الله تعالى وخشية منه، وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله.

حقيقة الغضب

اعلم أن: ما يصيب الإنسان من غضب: هو جمرة من الشيطان يلقيها في قلب ابن آدم، وعند الغضب ينزع فيه عرق إلى الشيطان اللعين، حيث قال: ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ

من طين﴾ (الأعراف:١٢)، وسبق ذلك قـوله ـ لعنه الله ـ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ (الأعراف:١٢)، وقوله هذا من العـذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امـتنع من الطاعة، لأنه لا يؤمـر الفاضل بالسجـود للمفـضول، يعني ـ لعنه الله ـ: وأنا خـير منه، فكيف تأمرني بالسجود له؟، ثم بيَّن أنه خير منه بأنه خلقه من نار، والنار أشـرف مما خلقـته مـنه، وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التـشريف العظيم، وهو أن الله خلق آدم بيديه، ونفخ فيـه من روحه، كما أن شـأن الطـين السكون والوقـار، وشـأن النار التـلظي والاشتعال، والحركة والاضطراب.

ولهـذا قاس اللعين قـياسًـا فاسـدًا في مقـابلة نص: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩)، فشـذَّ من بـين الملائكـة لترك السـجود، بل وتوعـد ذرية آدم، بـقـوله ـ عليه لعنة الله ـ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦)، أي: كما أغـويتني، أو كما أضللتني، أو أهلكتنـي لأقعدن

لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه على ﴿ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: طريق الحق، وسبيل النجاة، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك، ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي، ثم قال ـ عليه لعنة الله ـ: ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧).

﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾، أي: أشككهم في آخرتهم، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾، أي: أرغبهم في دنياهم، ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾، أي: أشبه عليهم أمر دينهم، ﴿ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾، أشهي لهم المعاصي، قال ابن عباس: لم يقل: من فوقهم، لأن الرحمة تنزل من فوقهم، ﴿ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾، أي: موحدين، وقول إبليس: هذا إنما هو ظن منه وتوهم، وقد وافق في هذا الواقع، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ (سبأ: ٢٠-٢١).

ولهذا ورد في الحـديث الاستعـاذة من تسلط الشيطان على الإنسـان من جهـاته كلها، فـقد روى البـزار عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: كـان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عـوراتي، وآمن روعـاتي، واحـفظني مـن بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شـمـالي، ومن فـوقي، وأعـوذ بك اللهم أن أُغـتـال من تحتي**».

ورُوي أن إبليس ـ لعنه الله ـ بدا لموسى عليه السلام، فقال: يا موسى، إياك والحِـدَّة؛ فـإني ألعب بالرجل الحديد كـما يلعب الصبيان بالكرة، وإياك والنساء، فإني لم أنصب فخًا قط أثبت في نفـسي من فخ أنصبه بـامرأة، وإياك والشح، فإني أفسد على الشحيح الدنيا والآخرة.

وكان يُقـال: اتقوا الغـضب، فإنه يفـسد الإيمان كـما يفسد الصبر العسل، والغضب عدو العقل.

وحقيقة الغضب:

غليان دم القلب لطلب الانتقام، ففي الجسم غدد تسمى (الأدرنالية)، عندما يغضب ابن آدم تفرز مادة (الأدرنالين) في الدم فيسبب ذلك ارتفاعًا في ضغط الدم، فيضغط الدم على القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن، كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدور، ولذلك يحمر الوجه و العين والبشرة، وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها.

وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، فإذا كان الغضب صدر ممن فوقه، وكان معه يأس من الانتقام، تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب، فصار حزنًا ولذلك يصفر اللون، وإذا كان الغضب على نظير يشك فيه، تردد الدم بين انقباض وانبساط، فيحمر ويصفر ويضطرب، فالانتقام هو قوت لقوة الغضب.

والناس في قوة الغضب على درجات ثلاث: إفراط، وتفريط، واعتدال، فلا يحمد الإفراط فيها، لأنه يخرج الدين والعقل عن سياستها، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظر ولا فكر ولا اختيار، والتفريط في هذه القوة أيضًا مذموم، لأنه يبقى لا حمية له ولا غيرة، ومن فقد الغضب بالكلية عجز عن رياضة نفسه، إذ الرياضة إنما تتم بتسليط الغضب على الشهوة، فيغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب مذموم، فينبغي أن يطلب الوسط بين الطريقين.

الغضب غول العقل

الغضب مرض من الأمراض وداء من الأدواء، فهو في أمراض القلوب، نظير الحمى، والوسواس، والصرع في أمراض الأبدان، فالغضبان المغلوب في غضبه كالمريض والمحموم، والمصروع المغلوب في مرضه، والمبرسم المغلوب

في برسامه، وهذا القياس صحيح في الغضبان الذي قد اشتد به الغضب حتى لا يعلم ما يقول.

والغضب عدو العقل، وهو له كالذئب للشاة، قلما يتمكن منه إلا اغتال عقله، وعليه فالعاقل لا يستدعي الغضب ولا يريده، بل هو أكره شيء إليه، وهو كما قال النبي ﷺ : **«جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم من احمرار عينيه، وانتفاخ أوداجه»**[1].

وللغضب أقسام ثلاثة:

الأول. أن يحصل للإنسان مبادئُه وأوائلُهُ بحيث لا يتغير عليه عقله ولا ذهنه، ويعلم ما يقول ويقصده، ويمكن لصاحبه أن يملك نفسه عنده، فإذا استحكم وتمكن منه لم يملك نفسه عند ذلك، وكذلك الحزن الحامل على الجزع، يمكن لصاحبه أن يملك نفسه في أوله، فإذا استحكم وقهر

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي.

لم يملك نفسه، وكذلك الغضب يمكن الصاحبه أن يملك نفسه في أوله، فإذا تمكن واستولى سلطانه على القلب لم يملك صاحبه قلبه، فهو اختياري في أوله اضطراري في نهايته.

الثاني - أن يبلغ به الغضب نهايته بحيث ينغلق عليه باب العلم والإرادة فلا يعلم ما يقول وما يريده، وهنا يكون الغضب قد استحكم حتى اغتال عقله حتى لم يعلم ما يقول، فلاريب أنه لا ينفذ شيء من أقواله في هذه الحالة، فإن أقوال المكلف إنما تنفذ مع علم القائل بصدورها منه، ومعناها وإرادته للتكلم بها، وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **«لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان»**.

الثالث - من توسط في الغضب بين المرتبتين فتعدى مبادئه ولم ينته إلى آخره بحيث صار كالمجنون، ولكي لا يحجز عليه لأن حالته هذه لا تدوم، ولاريب أنه قد يحصل

للغضبان إغماء وغشي، وهو في هذه الحالة غير مكلف قطعًا كما يحصل ذلك للمريض فيزيل تكليفه حال الإغماء.

بيان ذم الغضب وأثره

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٦).

ذم - سبحانه وتعالى - الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، وذلك حين أبوا أن يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم»، وأبوا أن يكتبوا: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تعدون الرقوب[1] فيكم؟»**، قال:

---

(١) **الرقوب**: أصله في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد، ومعنى الحديث: أي تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده وهو ليس كذلك شرعًا، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته، فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به، وثواب صبره عليه، ويكون له فرطًا وسلفًا.

قلنا: الذي لا يولد له، قال: **«ليس ذاك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدِّم من ولده شيئًا»**، قال: **«فما تعدون الصُّرعة فيكم؟»**، قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: **«ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب»**.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**[1]، وفيه دلالة لقوة دينية معنوية إلهية باقية، فحول النبي ﷺ معنى هذا الاسم من القوة الظاهرة إلى الباطنة، ومن أمر الدنيا إلى أمر الدين، فنقله إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها، فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه.

وعن جعفر الصادق: الغضب مفتاح كل شر. وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحِدَّة، وقائده الغضب، ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم، والحلم زين

(١) رواه الإمام أحمد، والشيخان.

ومنفعة، والجهل شين ومضرة، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه.

وقال الحسن: من علامات المسلم قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وإحسان في رفاقة، وصبر في شدة، لا يغلبه الغضب، ولا تجمح به الحمية، ولا تغلبه شهوة، ولا تفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته، فينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، ولا يبخل ولا يبذر، ولا يسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظُلم، ويعفو عن الجاهل، نفسه منه في عناء، والناس منه في رخاء.

أما عن تأثير الغضب على المرء فنجد أن له آثارًا ظاهرة على الجسد كله، وآثارًا على اللسان وعلى الأعضاء، كما له أثر في القلب.

فمن آثار الغضب في الظاهر:

تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزبد على الأشداق، وتحمر الأحداق، وتنقلب المناخر، وتستحيل الخلقة لقبح صورته.

وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة الباطن أولاً، ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيًا، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن، فقس المثمر بالثمرة، فهذا أثره على الجسد.

وأما أثره في اللسان:

فانطلاقه بالشتم، والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل، ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ، قال ﷺ: **«أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»**[1].

---

(١) رواه أبو الشيخ، والطبراني، والبيهقي عن ابن مسعود.

وأما أثره على الأعضاء:

فالضرب، والتهجم، والتمزيق، والقتل، والجرح عند التمكن، وقد يمزق ثوب نفسه، ويلطم نفسه، والحديث يقول: «**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب**»، وقد يضرب بيده على الأرض، وربما يعتريه مثل الغشية، وربما يضرب الجمادات والحيوانات، أو يكسر القطعة أو يشتم البهيمة، أو ترفسه دابة فيرفسها، ويقابلها بذلك كالمجنون.

وأما أثره في القلب:

فالحقد والحسد وإضمار السوء، والشماتة بالمساءات، والحزن بالسرور، والعزم على إفشاء السر، وهتك الستر، والاستهزاء، وغير ذلك من القبائح.

ومما لا شك فيه أن للغضب أضرارًا على الدين والأخلاق، ولا يخفى امتداد هذه الأضرار إلى الجسم والعقل، وتأثير كل ذلك على القلب، ومما سبق ندرك حكمة الرسول ﷺ في وصيته العظيمة في الحديث الصحيح: «**لا تغضب**».

مساوئ الغضب وأسبابه

اعلم أنه: متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتَسْوَد الدنيا في وجهه، ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار، فاسود جوُّه، وحمى مستقره، وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ، فلا يثبت فيه قدم، ولا تسمع فيه كلمة، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما زاد الغضب فقتل صاحبه.

فاندفاع الدم إلى المخ قد يحدث انفجارًا في شرايين المخ، وقد يكون في ذلك جلطة، وقد يكون في ذلك شلل والعياذ بالله، وقد يدفع الغضب بابن آدم إلى أن يُغضِب ربه - جَلَّ جَلالهُ -، فيقسم بالطلاق، والحديث يقول: **«تزوجوا ولا تطلقوا؛ فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن»**

وقلنا أن من آثار الغـضب في الظاهر: تغـيـر اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفـعال عن الترتيب، واستحالة الخلقة، وتعاطي فعل المجانين، ولو رأى الغضبان صورته فـي حالة غضـبه وقـبحهـا لأنف لنفسـه من تلك الحال، ومعلوم أن قبح الباطن أعظم.

ومن المعروف أن عـلاج كل علة بحسم مـادتها وإزالة أسبابها، والغضب إذا لم يتم كظمه، لعجز عن التشفي في الحال، ورجع إلى الباطن واحتقن فيـه فصار حقدًا، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثـقاله، والبغضة له والنفار عنه، وأن يدوم ذلك ويبقى، والحقد ثمـرة الغضب، وهو يثمر أمورًا منكرة:

الأول- الحسد: وهو أن يحملك الحـقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه، فتغتم بنعمة إن أصابها، وتسر بمصيبة إن نزلت به.

الثاني- أن يزيد على إضـمـار الحسـد في البـاطن، فيشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث ـ أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه، وإن طلبك وأقبل عليك.

الرابع ـ وهو دونه أن تُعْرِضَ عنه استصغارًا له.

الخامس ـ أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب، وغيبة، وإفشاء سر، وهتك ستر وعورة.

السادس ـ أن تحاكيه استهزاءً به وسخرية منه.

السابع ـ ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن ـ تمنعه حقه من قضاء دين، أو صلة رحم، أو رد مظلمة . . وكل ذلك حرام.

وأقل درجات الحقد لو احترز عن هذه الآفات الثمانية، أن يترك البشاشة أو الرفق، والعناية والقيام بحاجاته، أو المعاونة على المنفعة له، وكله وليد الغضب، وكله مما ينقص الدرجة في الدين، ويفوت الثواب الجزيل، ولما حلف أبو بكر ﷺ أن لا ينفق على مسطح، وكان قريبه لأمر ما، نزل قوله تعالى: ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢)، فقال أبو بكر: «بلى، نحب ذلك»، وعاد إلى الإنفاق عليه[١].

والأولى أن يبقى على ما كان عليه، فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان مجاهدًا للنفس، وإرغامًا للشيطان، فذلك مقام الصديقين، وهو من فضائل أعمال المقربين.

رجل من أهل النار

كان مزهوًا بنفسه، معجبًا بقوته، مغترًا بسيفه، مسه الكبرياء في إحدى المغازي، ولم يحتمل جرحًا، فمسته نار الغضب حتى علا بركانه فقتل نفسه، فخسر بذلك دنياه وآخرته.

ففي صحيح البخاري عن سهل قال: التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله ما أجزأ أحدهم ما أجزأ فلان! فقال: **«إنه من أهل النار»**، فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟! فقال رجل من القوم: لأتبعنه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جُرِح، فاستعجل الموت، فوضع نصاب سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: **«وما ذاك؟!»**، فأخبره، فقال: **«إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»** [1].

وكثيرًا ما نسمع عن أناس - خاصة الفتيات - ينهون حياتهم بالانتحار، نتيجة لفشل يصيبهم في حياتهم، فيخسرون كل شيء، وهو من نواتج الجهل المترتب عليه فساد في العقيدة.

---

(١) رواه البخاري.

ومن مساوئ الغضب أيضًا أنه قد يذهب بحياة صاحبه، فمن الناس من إذا لم ينفذ غضبه قتله غضبه ومات، أو مرض أو غشي عليه، كما يذكر عن بعض العرب أن رجلاً سبه، فأراد أن يرد على السَّابِّ فأمسك جليس له بيده على فمه ثم رفع يده لما ظن أن غضبه قد سكن، فقال: قتلتني، رددت غضبي في جوفي، ومات من ساعة.

مما سبق نجد أن مساوئ الغضب تزداد حدة ـ وربما تصل إلى الهلاك ـ كلما استحكم الغضب على العقل، ليحل محله في الأمر والنهي، وقد ينكر كثير من الناس أن الغضب يزيل العقل ويبلغ بصاحبه إلى هذه الحالة، وهذا خطأ لأن الناس متفاوتون في الغضب تفاوتًا عظيمًا، فمنه ما هو كالنشوة، ومنه ما هو كالسكر، ومنه ما هو كالجنون، ومنه ما هو سريع الحصول سريع الزوال، وعكسه ـ أي بطيء الحصول بطيء الزوال ـ، ومنه سريع الحصول

بطيء الزوال، وعكسه، كما قسمه النبي ﷺ إلى هذه الأقسام، وقوى الناس متفاوتة تفاوتًا عظيمًا في ملك تقواهم عند الغضب، والطمع، والحزن، والخوف، والشهوة، فمنهم من يملك ذلك ويتصرف فيه، ومنهم من يملكه ذلك ويتصرف فيه، حتى لا ترجعه نصيحة، بل وتتملكه العزة بالإثم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة: ٢٠٦)، أي: إذا وعظ في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق الله وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق، امتنع وأبى، وأخذته الحمية والغضب بالإثم أي: بسبب ما اشتمل عليه من الآثام، وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**كفى بالمرء إثمًا إذا قيل له: اتق الله، غضب**»[١].

---

(١) رواه الطبراني.

الأسباب المهيجة للغضب

وأما عن الأسباب المهيجة للغضب فمنها: العجب، والمزاح، والهزال، والمضادة، والزهو، والتعيير، والهزء، والغدر، وشدة الحرص على الحصول على المال والجاه، وهذه أخلاق رديئة مذمومة شرعًا، فينبغي أن يقابل كل واحد من هذه بما يضاده، فيجتهد على حسم مواد الغضب وقطع أسبابه.

فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع، وتميت العجب بمعرفتك بنفسك، وتزيل الفخر بأنك من جنس البشر، إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد، وإنما الفخر بالفضائل، والفخر والعجب أكبر الرذائل.

وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه، وأما الهزال فتزيله بالجِدِّ في طلب الفضائل، والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة، وفي هذا يقول ﷺ: «والذي

نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً، ولضحكتم قليلاً»[(١)].

وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس، وبصيانة النفس عن مُر الجواب، وأما شدة الحرص، فبالصبر على مُر العيش بالقناعة، بقدر الضرورة، طلبًا لعز الاستغناء، وترفعًا عن ذل الحاجة.

وكل خلق من هذه الأخلاق، وصفة من هذه الصفات، يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضتها الرجوع إلى معرفة غوائلها، لترغب النفس عنها، وتنفر عن قبحها، ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة، حتى تصير بالعادة هينة مألوفة على النفس، فإذا انمحت عن النفس، فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل، وتخلصت أيضًا من الغضب الذي يتولد منها.

---

(١) رواه البخاري.

وأشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة، وعزة نفس، حتى تميل النفس إليه، وتستحسنه، وهذا من الجهل بل هو من مرض القلب، ونقصان عقل وضعف نفس، ودليل ذلك أن المريض أسرع غضبًا من الصحيح، والشيخ الضعيف أسرع غضبًا من الكهل، وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل، فالرذل يغضب لشهوته، أما القوي من يملك نفسه عند الغضب، كما قال رسول الله ﷺ : «**ليس الشديد بالصُّرعة، بل الشديد من يملك نفسه عند الغضب**»[1].

وينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو، وما استحسن منهم من كظم الغيظ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء، والعلماء والخلفاء والفضلاء، وضد ذلك منقول عن الجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

لا يمين في غضب

يقـول تعـالى: ﴿لا يُؤَاخِـذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْـوِ فِي أَيْمَـانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٥)، أي: لا يعـاقبكم ولا يلزمكم بما صـدر منكم من الأيمان اللاغـية، وهي التي لا يقصـدها الحالف، بل تجري على لسـانه عادةً من غير تعقيد ولا تأكيد.

قال ابن جـرير في تفـسيره: حـدثنا ابن وكيع حـدثنا مالك بن إسـماعيل عن خالـد عن عطاء بن رستم عن ابن عباس قـال: لغو اليمين أن تحلف وأنت غـضبان، أي: أن اللغو من الأيمان التي يحلف بها صاحـبها في حال الغضب على غير عقـد القلب ولا عزم، يقول ابن جرير: وعلة من قال هذه المقالة ما حـدثني به أحمد بن منصور المروزي عن ابن عـبـاس قـــال: قـال رسـول الله ﷺ: «**لا يمين في غضب**»[1]، وقال الشـافعي: لغو اليـمين ما لم يعـقده وإنما

---

(١) رواه الدارقطني.

يتصور ذلك عنده في قوله: «لا والله»، و«بلى والله»، عند المحاورة والغضب واللجاج من غير قصد، سواء كانت على ماض أو مستقبل، وهي رواية عن أحمد.

ولا كفارة في يمين غضب

عن عطاء عن طاووس قال: كل يمين حلف عليها رجل وهو غضبان فلا كفارة عليه فيها؛ لقوله: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، وهذا أحد الأقوال في مذهب مالك أن لغو اليمين هو اليمين في الغضب، وهذا اختيار أَجَلِّ المالكية وأفضلهم على الإطلاق وهو القاضي إسماعيل بن إسحق، فإنه ذهب إلى أن الغضبان لا تنعقد يمينه.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد رفع المؤاخذة بلفظ جرى على اللسان لم يكسبه القلب، ولا يقصده، فلا تجوز المؤاخذة بما رفع الله المؤاخذة به، بل قد يقال: لغو الغضبان أظهر من لغو المبرسم[1] والمجنون.

(١) البرسام: داء معروف، وفي بعض كتب الطب أنه ورم حاز يعرض للحجاب الذي بين الكبد والأمعاء، ثم يتصل بالدماغ.

وعن علي وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن الأيمان المنعقدة كلها في حال الغضب لا تلزم.

لا طلاق لغضبان

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «**لا طَلاق ولا عِتَاقَ**[1] **في إغْلاق**»[2]، قال أبو داود: «**في غلاق**» (بغير ألف في أوله)، ثم قال: والغلاق أظنه الغضب، وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يقول: هو الغضب، قال أبو بكر: سألت أبا محمد وابن دريد وأبا عبد الله وأبا طاهر النحويين عن قوله: «**لا طلاق ولا عتاق في إغلاق**»، قالوا: يريد الإكراه، لأنه إذا أكره انغلق عليه رأيه، ويدخل في هذا المعنى المبرسم والمجنون، فقلت لبعضهم: والغضب أيضًا فقال: ويدخل فيه الغضب

(١) إخراج العبد عن الرق.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم في صحيحه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

لأن الإغلاق وجهان، أحدهما الإكراه والآخر ما دخل عليه ما ينغلق به رأيه عليه.

وقد فسر الشافعي: «لا طلاق في إغلاق» بالغضب، وفسره به مسروق، وهو قول القاضي إسماعيل ابن إسحاق أحد أئمة المالكية، فهذا مسروق والشافعي وأحمد وأبو داود والقاضي إسماعيل كلهم فسروا الإغلاق بالغضب، وهو من أحسن التفسير لأن الغضبان قد أغلق عليه باب القصد بشدة غضبه[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾[2] (الأعراف: ٢٠٠)، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما نزلت ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ.. ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، قال ﷺ: «يارب كيف بالغضب؟»، فأنزل الله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ

---

(١) «إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان» ابن قيم الجوزية.

(٢) ذكرت في ثلاثة مواضع من القرآن منها في (سورة الأعراف) آية ٢٠٠.

مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ .. ﴾، وأصل النزغ الفساد، إما بالغضب أو غيره، وما يتكلم به الغضبان في حال شدة غضبه من طلاق أو شتم ونحوه هو من نزغات الشيطان، فإنه يلجئه إلى أن يقول ما لم يكن مختارًا لقوله، فإذا سُرِيَ عنه علم أن ذلك من إلقاء الشيطان على لسانه مما لم يكن برضاه واختياره، وإذا كان هذا السبب وأثره من إلجاء الشيطان لم يكن من اختيار العبد فلا يترتب عليه حكم، لأن الغضبان الذي يمنعه الغضب من معرفة ما يقول وقصده فهذا من أعظم الإغلاق وهو في هذا الحال بمنزلة المبرسم، والمجنون، والسكران، بل أسوأ حالاً من السكران، لأن السكران لا يقتل نفسه، ولا يلقي ولده من علو، والغضبان يفعل ذلك.

دعاء المختار ودعاء الغضبان

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ (يونس: ١١)، يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم

أو أموالهم أو أولادهم بالشر في حال حنقهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم.

والحالة هذه لطفًا ورحمةً كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم، أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، أي: لو استجاب لهم حكمًا دعوه به في ذلك لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك، فقد روي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تدعوا على أولادكم، ولا على أموالكم، ولا تدعوا على خدمكم، لئلا توافقوا من الله ساعة لا يسأل فيها شيئًا إلا أعطاه»** (١).

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود.

وفي تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو قول الإنسان لولده، وماله إذا غضب عليهم: اللهم لا تبارك فيه والعنه، فلو يعجل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب في الخير لأهلكهم، ولا تنافي بين الآية والحديث؛ فإن الآية اقتضت الفرق بين دعاء المختار ودعاء الغضبان الذي لا يختار ما دعا به، والحديث دل على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أوقاتًا لا يرد فيها داعيًا، ولا يُسأل فيها شيئًا إلا أعطاه، فنهى الأمة أن يدعو أحدهم على نفسه، أو أهله أو ماله خشية أن يوافق تلك الساعة فيُجاب له.

والإنسان يدعو على غيره ظلمًا وعدوانًا، ومع ذلك فقد يُستجاب له، ولكن إجابة دعاء الخير من صفة الرحمة، وإجابة ضده من صفة الغضب، والرحمة تغلب الغضب، والمقصود أن الغضب مؤثر في عدم انعقاد السبب في الجملة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ

بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ (الإسراء:١١)، وهو الرجل يدعو على نفسه وأهله في حال الغضب بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه، ولكن اقتضت رحمة العزيز العليم أن لا يؤاخذه بذلك ولا يجيب دعاءه لأنه عن غير قصد منه، بل الحامل عليه الغضب الذي هو من الشيطان.



غضب النبي ﷺ

وفيه ما يبين أن الغضبان قد يتكلم في الغضب بما لا يريده، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنما أنا بشر وإني اشترطت على ربي - عَزَّ وجَلَّ - أيُّ عبد من المسلمين شتمته أو سببته أن يكون ذلك زكاة وأجرًا»**.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث مسروق عن عائشة قالت: دخل على النبي ﷺ رجلان فأغلظ لهما وسبهما، قالت: فقلت: يارسول الله لمن أصاب منك خيرًا ما أصاب هذان منك خيرًا، قالت: فقال: **«أو ما علمت ما عاهدت عليه ربي - عَزَّ وجَلَّ - قلت: اللهم أيما مؤمن سببته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له مغفرة وعافية»**.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«اللهم أيما عبد مؤمن سببته فاجعل ذلك قربة**

إليك يوم القيامة»، وفي بعض ألفاظ الحديث: **«إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما مؤمن سببته أو لعنته فاجعلها له زكاة»**.

فلو كان النبي ﷺ مريدًا لما دعا به في الغضب لما شرط على ربه وسأله أن يفعل بالمدعو عليه ضد ذلك، إذ من الممتنع اجتماع إرادة الضدين، وقد صرح بإرادة أحدهما مشترطًا على ربه، فدل على عموم إرادته، لما دعا به في حال الغضب، هذا وهو ﷺ معصوم الغضب كما هو معصوم الرضا، وهو مالك لفظه بتصرفه، فكيف بمن لم يعصمه في غضبه وتمليكه ويتصرف فيه غضبه ويتلاعب الشيطان به فيه، وإذا كان الغضبان يتكلم بما لا يريده ولا يريد مضمونه، فهو بمنزلة المكره الذي يلجأ إلى الكلام أو يتكلم به باختياره، ولا يريد مضمونه[1].

---

(١) «إغاثة اللهفان».

ومن الأفعال ما يُعذر بالغضب

والدليل في قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، حينما ضلوا وعبدوا العجل، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾ (الأعراف: ١٥٠).

يخبر الله تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى، وهو غضبان أسف - والأسف أشد الغضب - قال: بئسما صنعتم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾، غضبًا على قومه.

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«يرحم الله موسى، ليس المعاين كالمخبر، أخبره ربه - عَزَّ وجَلَّ - أن قومه فتنوا بعده فلم يُلْقِ الألواح، فلما رآهم وعاينهم ألقى الألواح»**.

ووجه الاستدلال بالآية أن موسى - صلوات الله عليه - لم يكن ليلقي ألواحًا - كتبها الله تعالى وفيها كلامه - من

على رأسه إلى الأرض فيكسرها اختيارًا منه لذلك ولو كان فيه مصلحة لبني إسرائيل، وإنما حمله على ذلك الغضب، فعذره الله سبحانه به، ولم يعتب عليه بما فعل، إذ كان مصدره الغضب الخارج عن قدرة العبد واختياره، فالمتولد عنه غير منسوب إلى اختياره ورضاه به، وإنما كان غضب الله على بني إسرائيل لعبادتهم العجل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٢)، أما الغضب الذي نال بني إسرائيل من عبادة العجل، فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضًا: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٥٤).

وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلاً وصغارًا في الحياة الدنيا، قال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل.

ولما سكن عن موسى الغضب أخذ الألـوح التي كان ألقاها من شدة غـضبه على قومه لعبادتهـم العجل غيرةً لله وغضبًـا له، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ﴾ (الاعراف: ١٥٤)، عدل سبحانه عن قول سكن إلى قوله: «سكت» تنزيلاً للغضب منزلة السلطان الآمر الناهي، فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه المتكلم على لسانه فهو أولى بأن يعذر من المكره الذي لـم يتسلط عليه غضب يأمره وينهاه.



احذروا غضب الله

قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى[(١)]﴾ (طه: ٨١).

في القتل الحرام:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣)، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله - عَزَّ وجَلَّ - حيث يقول: ﴿الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الفرقان: ٦٨)، والأحاديث في تحريم القتل كثيرة منها قوله ﷺ: **«لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»**.

---

(١) تردى وشقى (وتردى في مهواه: سقط فيها).

وفي سوء الظن بالله:

قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (الفتح: ٦)، أي: الذين يتهمون الله تعالى في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه ﷺ أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾، واللعنة تعني: الطرد من رحمة الله يوم القيامة.

وفي التولي يوم الزحف:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال: ١٥-١٦).

يقول تعالى متوعدًا على الفرار من الزحف: ﴿ فَقَدْ بَاءَ﴾ أي: رجع، ﴿ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ﴾ أي: مصيره ومنقلبه يوم ميعاده ﴿ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، إلا من فر من بين يدي قرنه مكيدة ثم يكر[1] عليه، أو فر إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص[2] الناس حيصة فكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟، ثم قلنا: لو دخلنا المدينة ثم تبنا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا قوية، وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال: «**من القوم؟**»، فقلنا: نحن الفرارون، فقال: «**بل أنتم**

(١) **كر الفارس**: إذا فر للجولان ثم عاد للقتال.

(٢) **حاص عن الحق**: أي حاد عنه وعدل.

العكارون[١] **أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين**»، قال: فأتيناه حتى قبلنا يده[٢].

وفي المرتدين عن الإسلام:

قال تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (النحل: ١٠٦)، أخبر الله تعالى عمن كفر بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر، واطمأن به أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذابًا عظيمًا في الآخرة.

﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (النحل: ١٠٧-١٠٨)، لأنهم أقدموا

---

(١) عكر: عطف ورجع.

(٤) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

على ما أقدموا عليه من الرِّدة لأجل الدنيا، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يعقلون بها شيئًا ينفعهم، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ولا أغنت عنهم شيئًا فهم غافلون عما يراد بهم، ﴿ **لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ (النحل: ١٠٩).

- أي لابد ولا عجب أنهم يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

في الذين يصدون عن سبيل الله:

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** ﴾ (الشورى: ١٦)، يقول الله تعالى متوعدًا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به، ويجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى أن حجتهم باطلة عند الله وعليهم غضب منه ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

رحمة الله تغلب غضبه

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، هو يكتب على نفسه وهو وَضعٌ عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»[1]، وأخرجه البخاري أيضًا في موضع آخر من كتاب التوحيد ولفظه: قال: «لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي».

والمراد بالغضب: لازمه، وهو إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق، أي: تعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب، لأن الرحمة هي مقتضى ذاته المقدسة، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث.

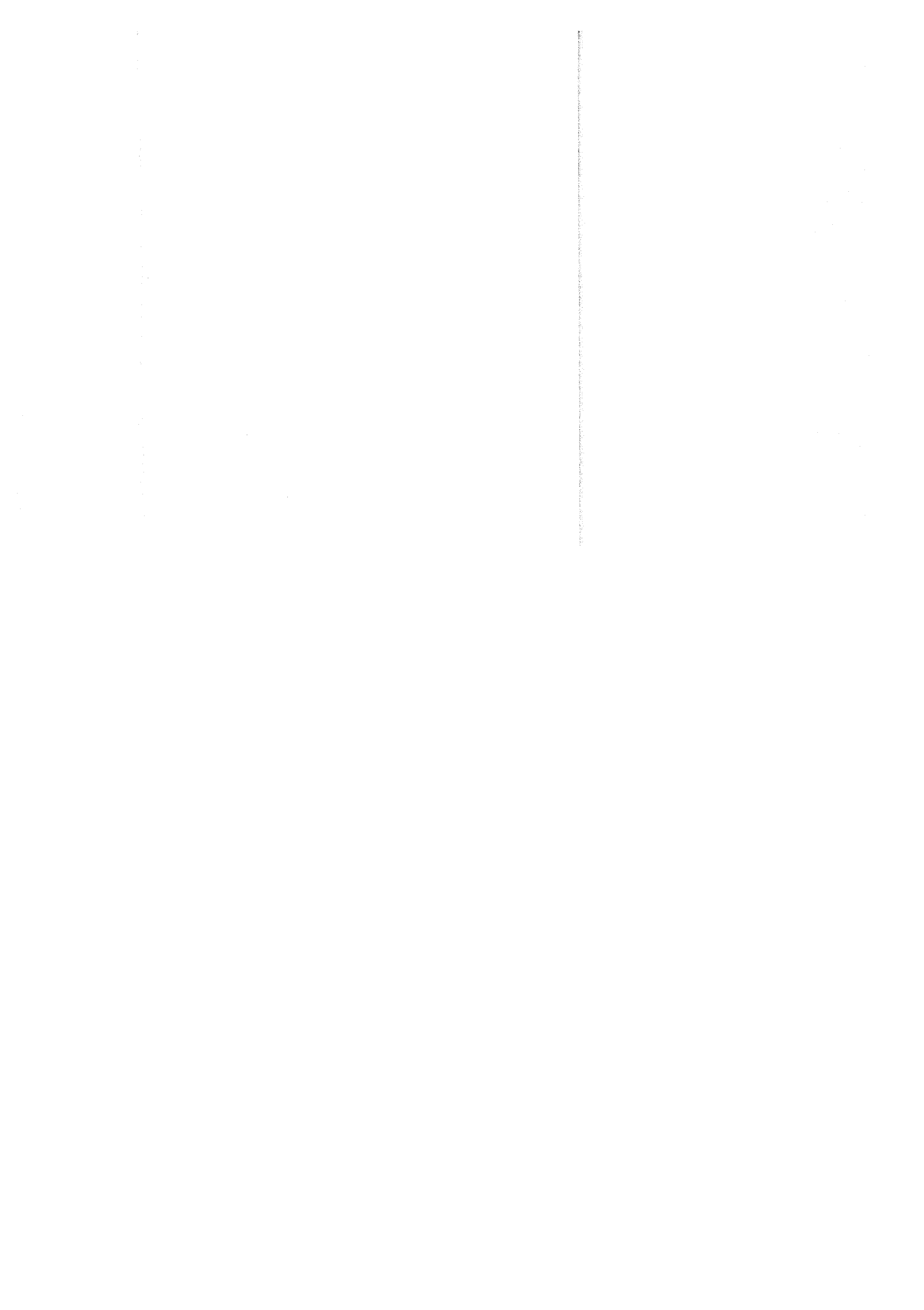
---

(١) أخرجه البخاري في «التوحيد».

وذكر القسطلاني في كتاب بدء الخلق، قال: وقال التوربشتي: وفي سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من العذاب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، ألا ترى أن الرحمة تشمل الإنسان جنينًا ورضيعًا، وفطيمًا وناشئًا، من غير أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من المخالفات ما يستحقه.

وقال في (المصابيح): الغضب إرادة العقاب، والرحمة إرادة الثواب، والصفات لا توصف بالغلبة، ولا يسبق بعضها بعضًا، لكن جاء هذا على سبيل الاستعارة، ولا يمتنع أن تجعل الرحمة والغضب من صفات الفعل لا الذات، فالرحمة هي الثواب والإحسان، والغضب هو الانتقام والعقاب، فتكون الغلبة على بابها، أي أن رحمتي أكثر من غضبي.

وقال عمرو بن العاص: سألت رسول **الله** ﷺ عما يبعدني عن غضب **الله** تعالى، قال: **«لا تغضب»**.



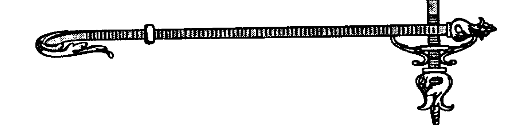
الفصل الثاني

ما يجوز من الغضب:

* الغضب والشدة لأمر الله.
* الغضب إذا انتهكت حرمات الله.
* الغضب والانتصار لدين الله.
* الغضب والحمية للغيرة.

يتخللها موضوعات أخرى:

* غضبة لله.
* العبث بالقرآن.
* القرآن إعجاز العصر.
* سفينة نوح خرافة!!.
* ولنا حق الغضب.
* المحاربون من أهل الكفر والردة.
* يوم الغضب الأعظم.
* دعوة غضب لله تعالى.
* حديث الإفك.
* لا عصبية في الإسلام.





ما يجوز من الغضب

أشرنا إلى أن فقد الغضب مذموم، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين، فينبعث حيث تجب الحمية، وينطفئ حيث يحسن الحلم، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده، وهو الوسط الذي قالت فيه الحكمة: «خير الأمور أوسطها»، وأما ما يجوز منه فهو:

أولاً - الغضب والشدة لأمر الله تعالى

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ٧٣)، ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: بالسيف والسلاح، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: في القول، وهذا أمر الله - عَزَّ وجَلَّ - بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر، ثم أقام على إظهاره، فأما من اطلع عليه منهم أنه تكلم بها، فأخذ بها

فأنكرها ورجع عنها، وقال: إنــي مسلم، فحكم الله تعالى في كل من أظهر الإسلام بلسانه أن يحقن ذلك دمه وماله.

وعن أبي مسعود عقبة بن عامر البدري ﷺ قال: جاء رجل إلى النبــي ﷺ، فـقــال: إني لأتأخـر عن صــلاة الصبح من أجل فلان مما يطيــل بنا، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذٍ، فقال: **«يأيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة»** [(١)].

وعن عائشة ﷺ أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فـقالوا: من يكلم فـيهـا رسول الله ﷺ؟، فقالوا: من يجترئ علــيه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: **«اتشفع في حَدٍّ من حدود الله تعالى؟!!»**، ثم قام فخطب، ثم قال: **«إنما**

---

(١) متفق عليه.

أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[1].

وعنها ﵁ قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه، وقال: **«يا عائشة: إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»**[2].

- **(السهوة)**: كالصُّفَّة تكون بين يدي البيت.
- **(قرام)**: ستر رقيق.

وعن ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: **«يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده؟»**، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، فقال: لا والله لا آخذه أبدًا، وقد طرحه رسول الله ﷺ.

---

(١)، (٢) متفق عليهما.

وعن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن اللقطة فقال: «عَرِّفها سنة ثم اعرف وكاءها وعفاصها، ثم استنفِق بها فإن جاء ربها فأدها إليه»، قال: يا رسول الله فضالَّة الغنم؟ قال: «خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب»، قال: يا رسول الله فضالة الإبل؟، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه أو احمر وجهه، ثم قال: «ما لك ولها؟! معها حذاؤها وسقاؤها حتى يلقاها ربها»، قوله: «ثم استنفِق» بكسر الفاء وجزم القاف: أي استمتع بها وتصرف فيها.

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: احْتَجَرَ رسول الله ﷺ حُجَيْرَة مُخصَّفة أو حصيرًا، فخرج رسول الله ﷺ يصلي فيها فتتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته ثم جاءوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج

إليهم مغضبًا فقال لهم رسول الله ﷺ : **«ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»**.

- قوله: **«حجيرة»** أي: موضعًا من المسجد يستره ليصلي فيه ولا يمر عليه أحد.
- قوله: **«مخصفة»**: متخذة من سعف.
- قوله: **«وحصبوا الباب»** أي: رموا الباب بالحصباء وهي الحصا الصغيرة تنبيهًا لظنهم له أنه نسي.
- قوله: **«مغضبًا»** أي: لكونهم اجتمعوا بغير أمره، وإشفاقًا عليهم لئلا تفرض عليهم.

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيله، وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان، وقد قال

تعـــالى : ﴿ قُلْ إِن كَـــانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْـــوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (التوبة : ٥٤) .



غضبة لله

حول بيان الشيخ الشعراوي ضد كل من: توفيق الحكيم، ويوسف إدريس، وزكي نجيب محمود، وتعليق على ادعائات توفيق الحكيم في حديثه مع الله.

ففي يوم الخميس ٢ جمادى الآخرة الموافق ١٧ مارس سنة ١٩٨٣م، نشر فضيلة الشيخ الشعراوي بيانًا في جريدة (اللواء الإسلامي) في صفحتها الأولى هذا نصه: «ما يكتبه توفيق الحكيم ضلال وإضلال، لقد شاء الله - سبحانه وتعالى - ألا يفارق هذا الكاتب الدنيا إلا بعد أن يكشف للناس ما يخفيه من أفكار وعقائد كان يتحدث بها همسًا ولا يجرؤ على نشرها، ولقد شاء الله ألا تنتهي حياته إلا بعد أن يضيع كل خير عمله في الدنيا، حتى يلقى الله - سبحانه وتعالى - بلا رصيد إيماني.

إنني أطالب - كما يتم عقد ندوات في التليفزيون لمناقشة الذين ينشرون أفكارًا خاطئة عن هذا الدين - بأن

تعقد ندوة ينقلها التليفزيون المصري ويحضرها الناس، وأطلب أن يحضر هذه الندوة كل من: توفيق الحكيم، ويوسف إدريس، وزكي نجيب محمود، وأحضرها أنا وحدي لأكشف هؤلاء الناس للمسلمين في العالم أجمع، وأرد عليهم، وأترك الحكم لجموع المسلمين، كما أكشف وسائل الإعلام التي تقوم بنشر هذا الكلام لهم، وإنني أتحدى أن تعقد مثل هذه الندوة وأنا مستعد لها في هذه اللحظة، إذا كان هناك ما يسمونه فكرًا لهم فكل كلامهم خارج عن هذا الدين وكله مردود عليه.

وأنا أريد النقاش علنًا، ليعرف كل إنسان قدره، ولا يصبح دين الله نهبًا مباحًا لكل من يريد أن يتعدى على مقدساته ويشوهه أمام الناس، إن ما يقوم به هؤلاء الثلاثة لا يمت إلى الحق بصلة، ولا إلى الفكر الإسلامي الصحيح، وما يكتبونه هو قضية تحمل الضلال والإضلال، وإن كان لديهم ذرة حق فليأتوا ولنتناقش أمام الناس جميعًا، وإني في انتظارهم» اهـ.

يقول الأستاذ محمد خالد ثابت: وكانت هذه غضبة شديدة لم يعهدها الناس في الشيخ الوقور الذي تغلب عليه أخلاق الناسكين، الأدب الجم، والحلم وسعة الصدر.

وعلى أية حال فإن الندوة لم تتم، فقد فرَّ الثلاثة من مواجهة الشيخ الغاضب وكان منتهى ما تم - في هذا الأمر - من أشكال الحوار هو ذلك اللقاء الذي دبرته جريدة «اللواء الإسلامي» بين توفيق الحكيم وعدد من علماء الدين، وكذلك ما نشرته نفس الجريدة من تعليقات للشيخ الشعراوي على مقالات الحكيم، وعلى ما يدور في لقائه مع علماء الدين.

وأما الدكتور يوسف إدريس، والدكتور زكي نجيب محمود، فقد آثرا الابتعاد قدر الإمكان عن منطقة الحوار العقلي مع الشيخ، وأخذا يقذفانه بالحجارة من بعيد، وأثارا ضده حربًا شخصية على صفحات الجرائد والمجلات.

وقد لفت بيان الشيخ الشعراوي الأنظار إلى ما يكتبه توفيق الحكيم في هذه الفترة في جريدة الأهرام تحت عنوان (حديث مع الله) ادعى فيه أنه أجرى حوارًا مع الله ـ أو خُيِّل له ـ وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال له: قل على لساني ما تشاء وأنت تعلم أولاً أنه ليس لي لسان مثلكم ولكن انسب وتخيل وألِّف.

وكان مما قاله له هذه الأديب مخاطبًا الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: إن شهادة أن لا إله إلا أنت ليست ضرورية، وأن النبي الذي أرسلت وقلت لنا إنه خاتم الرسل، وأمرتنا بطاعته، وأخبرتنا بأن طاعته من طاعتك قد مضى زمنه ولا حاجة بنا إليه، وأن الكتاب الذي أنزلت وأمرتنا أن نعمل به وأن نتمسك بما فيه حتى الرمق الأخير، وأخبرتنا أنك ستحاسبنا طبقًا لما جاء فيه، لم يعد صالحًا لنا في عصرنا الحديث، وإنما يقنعنا أكثر من العلم الحديث الذي يتخذه أعداء دينك منهجًا لحياتهم، وإلهًا من دونك، وأن رجال دينك

والمدافعين عن رسالتك يجب أن يكونوا من أمثال «آينشتين، وكاستلر»، وغيرهم من الملحدين، وليس ممن وصفتهم في قرآنك بقولك: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٧١).

ذلك المجترئ على الله، ماذا أبقى لنفسه ليوم يقف فيه بين يدي ربه يحاسبه حسابًا ليس بيسير؟!

وقد رد على الإدعاء الماجن لتوفيق الحكيم كثير من العلماء والغيورين على الدين، فقال فضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل في (جريدة النور ـ ٣٠/٣/١٩٨٣م): «أما أن يكون حديثك يا أستاذ توفيق مع الله ذي الجلال والإكرام على هذا النحو الذي سقته في حديثك فإن هذا ليس دعاء وليس عبادة وليس ضراعة وليس شكرًا، ولكن حديث إحدى الكبر، إنك رجل تحدث نفسك، تضع نفسك مرة موضع المخلوق، ومرة أخرى موضع الخالق، وتجيب

وتقول: إنني أجيب عنك افتراضًا، والنبي ﷺ يقول عنه ربه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤)، والوتين: عرق في الرقبة، إذا قطع مات الإنسان لتوِّه.

ولقد سُئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، وعن الروح، فلم يستطع أن يقول بغير الوحي، وما أسند إلى الله - عَزَّ وجَلَّ - قولاً لم يتنزل به وحي» اهـ.

وتحت عنوان (أدب الحديث عن الله) كتب فضيلة الشيخ محمد أحمد المسيرفي في جريدة (اللواء الإسلامي) الصادرة بتاريخ (١٠/ ٣/ ١٩٨٣م): هل نتحدث مع الله أم نتحدث عن الله؟! .. سؤال أطرحه على الأستاذ توفيق الحكيم بمناسبة حديث الثلاثاء (١/ ٣/ ١٩٨٣م)، إن التحدث مع الله تعالى لا يكون إلا لنبي أو رسول، وقد قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ

من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم ﴾ (الشورى: ٥١).

ومع اعتراف الحكيم بذلك فإنه يصر على التحدث مع الله، ويسمح لنفسه أن يقيم حوارًا مع جنابه العالي، ويسوق عبارات أقل وصف لها أنها جانبت التوفيق والحكمة وصدرت عن وعي مفقود، فإذا كان الحكيم قد استنطق عصاه وحماره، وجعل نفسه مفاوضًا عربيًا مع الإرهابي الصهيوني «بيجن»، فمن غير المعقول أن يستنطق الذات الإلهية هراءً وعبثًا وتضليلاً، بل من غريب الأمر أن الحكيم حرص فيما نسبه إلى بيجن أن يعتمد على تصريحات أذاعها بيجن أو خطب ألقاها أو كلمات كتبها حتى لا ينسب إليه ما لم يقله.

إننا ـ نحن المسلمين ـ نفاخر الدنيا كلها بما حبانا الله به من الإسناد في النقل والدقة في الرواية، والصدق في التحقيق حتى سلم لنا القرآن المجيد، فهو النص الديني الأوحد في العالم الذي يقرأ بالنص الإلهي الأول بلا

تحريف أو تزييد أو تبـديل، حتى حديث رسول الله ﷺ قد اصطنع له المسلمون علومًا شتى تخـدمه، فاهتموا برواة الحديث عدالةً وضبطًا، وميـزوا بين طبقات الرواة، وحققوا الأسانيد اتصالاً وانقطاعـًا، وقارنوا بين الأحاديث، ونظروا في كيفية الرواية هل هي قراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة، كل ذلك في براعة نادرة، واجتهاد مخلص، وتحقيق علمي فذ، فـأين نحن اليـوم مما يغتـر به الحكيم في مثل قـوله: وفجأة حـدث العجب، حدث ما كاد يجـعلني يغشى عليَّ دهشة، فقد سمعت ردًا من الله . . إلخ، إن هذا الشكل من الحديث جرأة على الله، واهدار للمقـدسات، واعتداء على شرف الكلمة، وضياع لمعالم الحق، وتدليس شنيع.

وقال فضيلة الشيخ الشعراوي: «الأستاذ توفيق الحكيم لم يقل لنا كيف كلمـه الله؟ هكذا مواجهـةً، أم أرسل إليه ملكًا، أم مـاذا حـدث؟ ومـا هي الكيـفـيـة التي تم بهـا الحديث؟، فإذا كان الحـديث من الله تخيلاً، إن الله يقول، فكأن الأستاذ توفيق الحكيم قد قيد مرادات الله بمراداته، أي

أنه قد قيد إرادة الله بإرادته هو، فما يريده عقل توفيق الحكيم يقوله الله - سبحانه وتعالى - في مقالاته وما لا يريده لا يقوله!!، وتقييد إرادة الله بإرادة البشر هو خطأ ثان ارتكبه الأستاذ توفيق الحكيم، وأعتقد أنه خطأ جسيم لابد أن يعتذر ويستغفر الله.

وكل من يجترئ على الله - سبحانه وتعالى - بأن ينقل عنه - عَزَّ وجَلَّ - ما لم يقله موعود بالويل، فما بالك بمن قيد إرادة الله بإرادته، يجعل الله يتكلم متى شاء توفيق الحكيم، ويجعل الله يسكت متى شاء توفيق الحكيم أن يسكت الله، ويجعل الله يحكم عباراته وكلماته عقل توفيق الحكيم وفكره، وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - يقول لرسوله ﷺ وأحب خلقه إليه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، إذا كان هذا حديثه مع رسوله، أيبيح الله - سبحانه وتعالى - لتوفيق الحكيم ما لم يبح لمحمد - عليه الصلاة والسلام -؟. اهـ.

(اللواء الإسلامي: ١٠/ ٣)

العبث بالقرآن

وكتب الأستاذ أحمد بهجت في بابه اليومي في جريدة الأهرام منبهًا إلى أن هذا الحوار مما لا يجوز، ومعلقًا على كثير من النقاط فيه، وكتب آخرون في مجلات وجرائد أخرى، لكن الكاتب لم يستجب، إلا أن الجريدة قد قامت بعمل بعض التغيرات على الشكل الخارجي للمقالة فغيرت العنوان من «حديث مع الله»، إلى: «حديث إلى الله»، وأزالت من صورة الكاتب الكاريكاتورية السحابة والكتب من تحت قدميه، وفي الحوار بينه وبين ربه وضعت ثلاث نقط بدلاً من لفظ الجلالة، كلما جاء دوره في الحوار!!

وهذا هو الأسلوب الذي تتعامل به جريدة الأهرام مع قرائها، كمن يقدم لك السم في زجاجته، فإذا ما عافته نفسك، صبه في كوب وأعاد تقديمه إليك!.

«اسمح لي أن أسأل: أكان من الضروري أن تنزل هذه الأديان والكتب الثلاثة؟!»، بهذا السؤال يستأنف الكاتب

حديثه إلى ربه، ويستأنف رحلته على نفس الطريق، فيقول مخاطبًا ربه: ولكنها قدرتك ومعجزتك يا ربي أن تختار دينًا راقيًا كالإسلام، لينزل في صحراء قاحلة، وقوم بدائيين، وكان لابد لحكمتك من أن تخاطبهم أحيانًا على قدر عقولهم، وكان أرقى ما اشتغلوا به وقتئذ هو التجارة، فاستخدمت في جذبهم إلى دينك الجديد عبارات مغرية لهم مثل: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠)، و﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ (التغابن: ١٧).

إنه يظن أن الله - عَزَّ وجَلَّ - في حاجة إلى عباده فيقول إنما هناك آيات في القرآن أنزلها الله خصيصًا ليغري بها البدو البدائيين لكي يؤمنوا بدينه الجديد!، وهو يريد أن يقول صراحةً: والآن وقد آمن البدو، أو بعد أن تحولت المجتمعات البدوية إلى حضرية، فهل تكون لهذه الآيات حاجة بعد؟، كأنه يقترح أن نتغاضى عن مثل هذه الآيات أو أن تحذف من القرآن!!، ولقد ساق على سبيل المثال

نموذجين من الآيات القرآنية الكريمة هما من صميم العقيدة الإسلامية، ماذا يكون رأي الكاتب في الآيات الأخرى في الحدود والمعاملات؟.

ولقد أفصح توفيق الحكيم عن رأيه هذا مرة أخرى في ندوة «اللواء الإسلامي» بقوله عن الصلاة: أما فيما يختص بعلاقة الدين بالمجتمعات، فأنا أعتقد أنه لا تناقض فالدين - وخصوصًا الإسلام - يريد أن يرقى بالناس .. أي: يعلمهم .. والنبي كان معلمًا لمجتمعه، حين قال لهم الصلاة خمس مرات في اليوم، لأنهم لم يكونوا يلتزمون بالماء، فعلمهم النظافة، لأن النظافة من الإيمان.

* وقال فضيلة الشيخ الشعراوي في معرض تعليقه على هذه الآراء: وقبل أن أختم كلامي أحب أن أقول: إن الأستاذ توفيق الحكيم قد ارتكب خطئين رئيسيين: أولهما - أنه قال إن الصلاة قد فرضت لأن العرب كانوا لا يستحمون، وهذا كلام يؤسفني أن أقول إنه كلام إنسان لم

يقرأ في الديــن، فالصلاة هي عــبادة لله فــرضت من فوق ســبع سمــوات، ومن يقول إنهــا نظافة أو رياضــة، أو أي شيء آخر، خرج بها عن مفهــومها العبادي، وبذلك أصبح الإنسان الذي يستحم كل يوم مــعفي من الصلاة، والإنسان الذي يمارس الرياضة مــعفي من الصــلاة!!، وكلاهما غــير صحــيح، كما يقال: أن الصــيام قد فرض ليــحس الإنسان بشعور الجــائع!، هذا كلام يُسقط الصيــام عن الجائع، لأنه يعرف هذا الشعور فــعلاً ويعيشه، وليس محــتاجًا للصوم، ولكن هذه العبادات كلها إنما فرضت ليتقرب بها الناس إلى الله ويعبدوه، ومــادام الله هو المعبود كما قلنا، فــهو وحده الذي يحدد الطريقة التي يعبد بهــا ـ سبحانه وتعالى ـ، فإذا قال الله إذا أردت أن تعبدني فافعل كذا في الصلاة والصوم وغيرهما فأنا عندما أفعل ذلك أفعله تقربًا إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والحكمة الوحيــدة هنا أن الله أمرني أن أفعل فلا نعلق العبادات بأي شيء آخر. (اللواء الإسلامي العدد: ٦٥)

هدم لغة القرآن

وبعد أن انتهى توفيق الحكيم من عرض نظريته، أو أجبر على أن ينهيها بسرعة بعد غضبة علماء الدين، يمضي في حوار طويل مع الله أيضًا، مليء بالذكريات الشخصية، ويركز فيه على عبد العزيز فهمي، فيتحدث عنه حديث إجلال وتقدير، فيقول: أما تاريخ مصر الفكري، فموقف عبد العزيز فهمي منه باق أيضًا لا يُنسى، فهو الذي ثار لحرية الفكر في قضية علي عبد الرازق وكتابه عن الإسلام وأصول الحكم، وقضية طه حسين وكتابه عن الشعر الجاهلي.

يقول الأستاذ محمد خالد ثابت: وهكذا نعرف سبب حب الكاتب وإكباره للمغفور له عبد العزيز باشا فهمي، وهو دفاعه عن كتابين أسهما إسهامًا لا يستهان به في زلزلة عقيدة الإسلام في الأمة، وفي زيادة فرقة أبنائها، ولعل المجال لا يتسع الآن لمزيد من القول حول هذين الكتابين، لكني أحيل القارئ الكريم إلى كتاب «الإسلام والخلافة في

العصـر الحديث»، للأسـتاذ محـمد ضيـاء الدين الريس، ليعرف حقيقـة كتاب الإسلام وأصول الحكم، وكذلك على مقدمة كتاب «المتنبي» للأستاذ الفاضل محمود محسن شاكر الذي يحكي فيه ذكـرياته الشخصية مع الدكـتور طه حسين وكتـابه عن الأدب الجاهلي، ليرى كـيف حرك الاستعـمار الإنجليزي كاتبـي الكتابين ـ عن غفلة منهمـا ـ ليقولا على لسانهما ما أملته إرادة الاستعمار ومطامعه.

وقد سُئل الزعيم سعـد باشا زغلول عن رأيه في كتاب (الإسلام وأصول الحكم)؟ فأجاب قـائلاً: لقد قرأته بإمعان لأعرف مبلغ الحملات عليـه من الخطأ والصواب، فعجبت أولاً كـيف يكتب عالم دينـي بهذا الأسلوب في مـثل هذا الموضوع؟، وقد قـرأت كثيرًا للمـستشرقين ولسـواهم، فما وجدت من طـعن منهم في الإسلام حـدة كهـذه الحدة في التعبـير، على نحو ما كتب الشيخ علي عـبد الرازق، لقد عرفت أنه جاهل بقواعد دينه، بل بالبسيط من نظرياته وإلا

فكيف يدعي أن الإسلام ليس مـدنيًا، ولا هو بنظام يصلح للحكم؟، فأية ناحية مدنية من نواحي الحياة لم ينص عليها الإسلام؟ هل البيع أو الإجارة أو الهبة، أو أي نوع آخر من المعاملات؟ ألم يدرس شيئًا عن هذا في الأزهر؟ أو لم يقرأ أن أممًا لا تزال تحكم بهـذه القـواعـد، وهي آمنة مطمـئنة؟ فكيف لا يكون الإسـلام مدنيًا ودين حكـم؟! وأعجب من هذا ما ذكره في كتابه عن الزكاة، فأين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية الأزهرية؟.

لم يكن دفاع عبـد العزيز فهمي عن كتابين مـشبوهين هو وحده سـر إعجاب توفـيق الحكيم به، إنما يلهج بالثناء على عظمته ووطنيته وشجـاعته .. إلخ، لأنه كان الداعية الأكبر، لوأد الـلغة العربية في مـصر إلى كتابتـها بالحروف اللاتينية كـما فعل كمـال أتاتورك في بلده التي كانت دولة الخلافة الإسلامية فحولها بين ليلة وضحاها إلى مسخ شائه بين الدول ملقى على هامش أوربا، لا هو مـن الشرق ولا

هو من الغرب، ويتولى الكاتب وصف ذلك في حديثه مع الله فيقول عن اللغة العربية: رآها ـ أي عبد العزيز فهمي ـ كالعجوز المقيدة في خلاخيلها ودمالجها الحبيسة في حجرة من التقديس، لا يدخلها هواء الحياة ولا شمس العصر، خشية عليها من تقلب الجو، فنهض فارس الحرية وأراد أن يمد يده للنوافذ يفتحها لنسائم التجديد وهو يقول في ذلك: إن اللغة كائن كالكائنات الحية ينمو ويهرم ويموت.

إيمان عبد العزيز بالتطور أي التجديد ـ وهو شيخ في الثمانين ـ يدل على أنه كان رجلاً عظيمًا حقًا، وعندما أقول إنه عظيم لا أعني المعنى المبتذل، بل أعني المعنى العميق للكلمة، ذلك أن من صفات العظمة شباب التفكير، أي: الإحساس بالتجديد، أي: مقابلة الزمن، أي: سبق العصر، كل العظماء بلا استثناء كانوا مجددين أي سابقين لعصورهم، مغالبين للزمن والهرم والجمود، لأن عظمة الإنسان هي في الانتصار على الزمن، وخير

مظهر للانتصار على الزمن هو شباب الفكر الدائم وتطور التفكير المستمر.

ويسوق الكاتب الأدلة على وهن اللغة العربية والصعوبات الجمة التي تعوقها عن الانتشار!!، ثم يقول: ولكن عبد العزيز فهمي أراد أن يحل العقدة بسيف شجاعته فقدم اقتراحه المشهور بترك الحروف العربية واتخاذ الحروف اللاتينية.

إن دفاع توفيق الحكيم عن دعوة صليبية تبناها الاستعمار الغربي المتسلط على دول الإسلام لهو شيء يبعث في النفس إحساسًا عميقًا بالمرارة، وشعورًا متملكًا بالغضب.

لقد زرع أعداؤنا هذه الدعوة وظل يتعهدها ويذب عنها صنائعهم من أمثال سلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وغيرهم، وإن التاريخ ليحفظ لنا محاولات، الإنجليز للنيل من لغة القرآن منذ اليوم الأول لوجودهم في مصر حصن

الإســلام وبلد الأزهـر، وإن مـحــاولات (ولـكوكس)، والقاضي (ولمور)، وغيرهم للقضاء على تلك اللغة لا تزال مـسطورة على صـفـحـات الكتب والجـرائد والمجـلات، وللقـارئ الذي يرغب في الاسـتزادة في هذا الموضـوع أن يرجع إلى كتـاب الباحثة الفـاضلة الأستاذة: نفوسـة زكريا سعيد (تاريخ الدعوة إلى العامـية وآثارها في مصر) ليعرف أي منزلق يراد بنا بدعوات تجديد وتـطوير وتحرير اللغة التي يحلو لبعض صغار النفوس ترديدها جهلاً واتباعًا وتقليدًا.

لم يكن حديـث توفيق الحكيم السـهم الأول المصوب إلى كبد الإسلام ليهدمـه، ولا هو بالسهم الأخير، فإن كل يوم جـديد يخـرج فـيه علينا واحد من دعـاة الإصـلاح والتـجديـد ليقـدم إلينا السم في كـأس الدواء، ولو كـان الهجوم علـى الإسلام يأتي من جانب المستـشرقين وحدهم لهان الخطب، فهم أعـداء ظاهرون، وهم رأس الحربة التي اقتـحمت بهـا الصليبيـة الغربيـة ديار الإسلام، فمـزقتـها

وانتـهكت حـرمـاتهـا، ولكن مـا بال هؤلاء الكتَّـاب من المسلمين، يرددون القـرآن والحـديث، ويعمـلون أقلامـهم معاول للهدم والخراب ويقسمون إن أرادوا إلا إصلاحًا.

لقد استزرع الاستعمار لنفسه في تربتنا رجالاً يخدمونه ويدعـون بدعوته فـقـدمهم على غـيـرهم، ووضعـهم في الصدارة من كل موقع، في وقت كان هو المسيطر على كل صغيرة وكبيرة في البلاد، ومما يؤسف له أن ذلك الاستعمار لم يغادر بلادنا إلا بعد أن خلف وراءه في صفوفنا جنودًا له من أنفسنا يتثقفون بثقافـته، ويتزيون بزيه، ويتجمعون تحت راياته، ويدافـعون عن قضـاياه وأطماعـه بحمـاس شديد، وسواء كان ذلك منهم عن غـفلة أو عن هوى أعمى أو عن طبيعـة خانعة مستكينة للأقـوى فإن النتيجة دائمًا وخـيمة، مزيد من الهوان ومن ضياع الحقوق والأوطان.



الحكيم في الميزان

عن أسباب تأخر المسلمين يجيب الأمير شكيب أرسلان برسالة مطولة، من ضمن ما جاء فيها، ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص، والذي هو أشد خطرًا من الجهل البسيط، لأن الجاهل إذا قيض الله له مرشدًا عالمًا أطاعه، ولم يتفلسف عليه، فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري، وكما قيل: ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون، وأقول ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم، وهو ما نراه مناسبًا للرد على شطحات الأدباء والفلاسفة وكل من يتجنَّى بتخاريف علمه الناقص على الله الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ أو على كتبه أو رسله.

القرآن إعجاز العصر

وبخصوص ما ادعاه بأن «العلم إله العصر» فنراه قد فوت على نفسه وبعلمه الناقص التحري عن الحقيقة

للوصول إلى شاطئ الأمان، وليأخذ من دنياه تذكرة النجاة في الآخرة، فمعجزات الإسلام والتي لم يقرأ عنها شيئًا - متمثلة في القرآن والسنة - قد سبقت علم العصر في كثير من المجالات، ومازال إعجاز الاستمرارية في ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ (فصلت: ٥٣) باقيًا إلى قيام الساعة في معنى قوله - عَزَّ وجَلَّ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ (فصلت: ٥٣)، أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقًا منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ، وعلى أنه سابق لما توصلوا إليه من علم، والحجة على ذلك بدلائل خارجية ﴿فِي الآفَاقِ﴾، منها اكتشاف الغطاء الجوي المحيط بالأرض وحمايته للكائنات من الأشعة فوق البنفسجية، والتي إن نفذت من خلاله أفنت كل حي، ولكنها رحمة الله تعالى الت يتحققت في معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ (الأنبياء: ٣٢)، ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾، منها اكتشاف الأغشية المحيطة بالجنين وهو في بطن أمه، وقد سبق القرآن

بالتنويه عنها بقوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ (الزمر: ٦)، أي: قدركم في بطون أمهاتكم، يكون أحدكم أولاً نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مُضغة، ثم يخلق فيكون لحمًا وعظمًا وعصبًا وعروقًا، وينفخ فيه الروح فيصير خلقًا آخر، ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾، يعني: في ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد، وظلمة البطن.

وفي الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رسول الله ﷺ قال: «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»[1].

---

(١) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[1].

- السُّلامى: أي: أعضاء الإنسان والتي ذكرت في حديث عائشة أنها ثلاثمائة وستون عضوًا - أو مفصلاً - على كل منها صدقة كل يوم، وجاء في الحديث أن ركعتين من الضحى تقوم مقام ذلك.

منذ بضع سنوات توقف علم الطب عند عدد للمفاصل يقل عما ذكره الحديث الشريف، وقبل بداية

(١) رواه البخاري ومسلم.

الألفية الثالثة الميلادية اكتشف طبيب مسلم عددًا من المفاصل في عظام الجمجمة لم تُكتشف من قبل، بها أُكملت عدد مفاصل جسم الإنسان الموجودة في الحديث، فإذا قدرنا للعلم مكانة فلا تصل إلى درجة أن يحل محل الخالق - سبحانه وتعالى -، كما أن سبق علوم القرآن والسنة يجعلها أعلى مكانة من علوم العصر، وأسرار القرآن ومعجزات الرسول ﷺ خير دليل على ذلك.

ولعل توفيق الحكيم في آرائه هذه متأثر بالأفكار التي يرددها نجيب محفوظ في رواياته تحت ستار الرمز منذ أمد بعيد، والتي كانت أصرح ما يكون في روايته (أولاد حارتنا)، التي نشرت سنة ١٩٥٩، وهلل لها أعداء الإسلام أخيرًا وكافأوه عليها بجائزة عالمية هي في الأصل يهودية، فهو ممن يقولون بأن تاريخ الإنسانية مراحل وأن الدين مرحلة فيها، وأن الديانات أيضًا مراحل في حياة البشر

انتهت أخيـرًا إلى العصر الحديث، حـيث تمت الغلبة للعلم الذي نجح في إقصاء الله عن حياة البشر، وأن الله نفسه قد قرر اعـتزال حياتهم وتركـهم لشأنهم يدبرون أمورهم كـما يتراءى لهم!!.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ (الكهف: ٥)، ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).

* ❋ *

العلم الحديث يقول:
سفينة نوح قصة خرافية

خلال دراستنا الجامعية في السبعينات، تباحثنا في كتاب في الرياضيات لمؤلف روسي الجنسية، وقد احتوت صفحاته على معلومات تبهرنا في مادة تخصصنا، إلا أن تلك الصفحات طوت بين جنباتها سُمًا لاذعًا، ذو تأثير قوي لكل من يقف على أرض رخوة، أما أصحاب العقيدة الثابتة فهم القادرون بتوفيق الله على تمييز السم من باطن العسل، وقد تناثرت قطرات هذا السم على عدة موضوعات لتخدع مزعزعي العقيدة، وكل مصاب بالخواء الفكري، فإن لم تقنعه بفكرها فهي على الأقل ستضعه في دائرة الشك، وحينما يقف حائرًا تائهًا تتلقفه الأيدي الملحدة، ومن هذه الموضوعات أرقام وحسابات تكونت في شكل مقنع لوضع سفينة نوح في سحارة التخاريف،

فباستخدام أرقام الحجوم والمساحات وضعوا العدد المناسب لارتفاع مياه الفيضان الذي غطى الأرض حينذاك، وهذا الارتفاع للمياه والذي وصف كالجبال لا يُمكِّنْ أي سفينة مهما كان حجمها أن تبحر في أمان!!.

وفي الجزء الأول من كتاب (أطلس الظواهر الغامضة) لعالم الآثار البريطاني «فرانسيس هتشنج» يشير إلى أنه لم يدر بخلد أي عالم أن يشك في صحة رواية التوراة عن ذلك الطوفان، فكانوا يقولون أن ملايين المستحاثات البحرية الموجودة في طبقات الأرض المختلفة تثبت صحة وجود الطوفان التوراتي.

ثم يقول: ولكن ولأسباب سياسية - فضلاً عن الأسباب العلمية - ظهرت نظرية (وحدة الكون) الحديثة التي تتحدى المذهب التوراتي هذا، فإذا كانت أقوال التوراة صحيحة فليس هنالك من طريقة سلمية لتحدي الملكية في

بريطانيا، لأنهم يعتبرون أن حق الملكية هو حق إلهي وقد نزل من الإله رأسًا للملك، ولكن إذا ظهر أن التوراة غير دقيقة وخصوصًا بالنسبة للطوفان، عندها يتحطم الأساس الفلسفي الذي يرتكز عليه حق المُلك الإلهي، وهذا هو رأي جماعة من المحافظين الإنكليز من حزب (الويج) ومن أعضاء البرلمان البريطاني، وقد ألف أحدهم وهو «تشارلز ليل» في عام ١٨٣٠ كتابًا دعاه: (مبادئ الچولوجيا) وفي مقدمة هذا الكتاب التي تبلغ مئة صفحة، ناقش هذا المؤلف بذكاء قصة الطوفان، واستنتج أن هذا الطوفان ما هو إلا قصة رمزية أسطورية. اهـ.

تعليق:

مما لاشك فيه أنه لم ولَنْ يوجد من يشكك في القرآن أو يضارعه الحجة ونحمد الله أن جعلنا نؤمن بوحدانيته وقدرته على أن يقول للشيء كن فيكون.

ولنا حق الغضب:

فن النفاق في الإعلام الموجه

نود أن نشير إلى أن مثل هذه الآراء والتي تخرج من أفواه لمسلمين أو غير مسلمين وفي شكل هجوم مباشر أو غير مباشر على الإسلام، لتعود بالنفع على العامة، فحينها تخرج أسلحة الدفاع الإسلامية من أفواه وبأقلام علماء الإسلام بحجج وبراهين، وأدلة، وبهذا السيجال والمد والجزر، وبهذه المراوغة الفكرية بين حق وباطل، وبهذه المجاهدة تلتف أفئدة المسلمين حول مباراة يتمتع ملتمسوها بنشوة الترقب لانتصار الحق، وفيها علوم تحيا، وتجلى أخرى ليتذكر أولو الألباب.

وما يثير الغضب هو موقف الصحافة الرسمية - والتي تمتلك فن التأثير على الناس - فهي لا تتوخى الحقيقة ولا تهتم بالمنطق ولا حتى بحسن المظهر أمام القراء، وإنما كل همها هو تحقيق الغلبة ولو للباطل وبالباطل.

ولقد دافعت الصحافة الرسمية عن توفيق الحكيم دفاعًا حـارًا دون أن تدافع عن أفكاره، وإنما تحدثت بحـرارة عن أمور غـيبية مـثل حرية الفكر ضد قهـر رجال الدين والحق الإلهي.. إلخ، وصـورت كـاتب هذه الأحـاديث على أنه شهيـد الإصلاح والفكر الحر، وصورت الشـيخ الشعراوي كمن يقبض بـيمناه على رقاب العباد ويمنـح بيسراه صكوك الغفران!!، وكم من أكـاذيب رأيناها بالتكرار والمثابرة على صفحات الجرائد تستقر في عقول العامة حقائق مؤكدة، من النماذج الدالة على ذلـك والمتعلقة بقـضيتنا هذه مـا نشرته (جريدة الأهرام) حـيث قالت: وإذا كان الحـكيم في عمق تفكيـره وفي صفاء إيمـانه قد جسـد الشمـوخ الفكري في مناجاته للذات العليا، وتعـرض لما تعرضت له حرية الرأي التي كانت عماد الفلسفة الإسـلامية في حركة التنوير، فإن الأهرام لن يسـمح بأن يـكون نافـذة أو منبـرًا لأي إرهاب فكري يدعي لنفسـه حقًا إلهـيًا، في مصادرة فكر أو تكفير صاحبه. (٢٩/ ٣/ ١٩٨٣)

وكذلك جاء في (جريدة أخبار اليوم) بتاريخ ١٩/ ٣:

قال الرجل الحكيم كلمته وتوكل على الله، قال الرجل كلمته وهو يعتقد أن عمره وماضيه يشفعان له عند هؤلاء الذين توقف تفكيرهم عند أيام الأمويين، كل ما كان يريده صاحبنا هو أن يستفسر عن أشياء ظلت أربعة عشر قرنًا بعد الهجرة غامضة على المؤمنين، واقترح الرجل حلولاً عسى الله أن يوفقنا في معرفة جزء آخر من أسرار خلقه ومعجزاته تجعلنا نزداد إيمانًا على إيمان بدلاً من هذه الظلمات فوق الظلمات التي يحاول البعض أن نظل غارقين فيها، ونصب الشيخ من نفسه قاضيًا في أمور الدين، وكأن السماء أعطته الحق في أن يقول لهذا: أنت كافر وضال، ويقول لذلك أنت من الأبرار، وهر شيء نعرف جميعًا أنه لله وحده جلَّ جلاله.

وقد علق الشيخ على هذه الثورة بقوله: لقد انفعل بعض أصحاب الأقلام لتوفيق الحكيم وأرادوا أن يدافعوا

عنه، لا عن حجة تلزم من يقـرؤها ولكن عن عاطفة تأبى أن تدخل في أمور من صميم العقيدة.

(اللواء الإسلامي ـ العدد: ٦١)

وكان على هؤلاء الذين يدافعـون عن توفيق الحكيم أن يغـاروا عليـه حين يلقى ربه فـيـجنبـوه أهوال ذلك اليـوم بالنصيـحة وبالحكمة بدلاً من أن يزيـنوا له طريقًا لا يُرضي الله ـ سـبحـانه وتعالـى ـ، ولا نملك سوى أن ندعـو لهم بالهداية ليسخروا أقلامهم في خدمة الإسلام.

ثانيًا ـ الغضب إذا انتهكت حرمات الله

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ (الحج: ٣٠)، أي: يجتنب مـا أمره الله باجتنابه تعظيمًـا لحدود الله ـ عَـزَّ وَجَلَّ ـ، والمعنى من يـجـتنـب مـحـارم الله ومعاصيه، ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى»[١]. وعنها رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرها ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قط، إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى»[٢].

وعن نافع عن عبد الله رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ يصلي رأى في قبلة المسجد نخامة فحكَّها بيده فتغيظ ثم قال: «إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يَتَنَخَّمَنَّ حيال وجهه في الصلاة»[٣].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري.

وروى ابن هشام عن أبي عوانة أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها[١]، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغُ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله - وكان يهوديًا -، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، فكان هؤلاء أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحاصرهم رسول الله ﷺ مدة من الزمن، حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أُبي بن سلول، فقال: يا محمد، أحسن في مواليَّ، فلم يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وكرر ثانية فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأدخل يده في جيب

(١) هو ما يجلب إلى السوق للبيع.

درعه ﷺ فقال له: «أرسلني»، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال له: «ويحك أرسلني»، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليَّ أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال له رسول الله ﷺ: «هم لك»، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات الشام، وهلك أكثرهم فيها.

المحاربون من أهل الكفر والردَّة

قال أبو قلابة: هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣).

المحاربة هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر، والآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: قدم رهط من عكل على النبي ﷺ كانوا في الصُّفَّة فاجتووا المدينة، فقالوا: يا رسول الله أبغنا رِسْلاً، فقال: «**ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله ﷺ**»، فأتوها فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صحّوا وسمنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الزود، فأتى النبي ﷺ الصريخ، فبعث الطلب في آثارهم فما ترجَّل النهار حتى أُتي بهم، فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم، ثم ألقوا في الحرة يستسقون فما سُقوا حتى ماتوا[1].

(١) لفظ البخاري.

قال أبو قلابة: سرقوا وقتلوا وحاربوا الله ورسوله.

- قوله: «فاجتووا المدينة»: أي كرهوا الإقامة بها لما أصابهم من الجوى، وهو داء في الجوف إذا تطاول قُتل، حتى سقمت أجسامهم.

- قوله: «ولم يحسمهم حتى ماتوا»: أي: لم يكن موضع القطع لينقطع الدم، بل تركهم حتى ماتوا.

- قوله: «رسلاً»: أي: لبنًا.

- قوله: «فما ترجل النهار»: من الترجل وهو الارتفاع.

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾، قال: فإمام المسلمين بالخيار إن شاء قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء قطع يده ورجله، وسند هذا أنه ظاهر ﴿أَوْ﴾ للتخيير، وقال الجمهور: هذه الآية منزلة على أحوال - كما قال عبد الله الشافعي - إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا فعلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم

وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الأرض.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٤)، فإذا تابوا قبل القدرة عليهم فإنه يسقط عنهم انحتام القتل والصلب وقطع الرجل، وهل يسقط قطع اليد أم لا؟ فيه قولان للعلماء، وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع، وعليه عمل الصحابة.

قصة عكل وعُرينة:

عن قتادة أن أنسًا ﷺ حدثهم أن ناسًا من عُكل وعُرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ، وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود، فبلغ

النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم، قال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى على المُثْـلَةِ (أي: قطع الأطراف).

- قوله: «بذود»: من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة.
- قوله: «راع»: اسمه يسار النوبي.
- قوله: «فسمروا أعينهم» أي: كحلت بالمسامير المحمية.

ثالثاً ـ الغضب والانتصار لدين الله تعالى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧)، كقوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ (الحج: ٤٠)؛ فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾، كما جاء في الحديث: «من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة»

وفي عهد الخليفة العباسي المعتصم، ترامت الأنباء إلى سمعه أن ملك الروم أسر امـرأة مسلمة، فأرسل إليه إنذارًا قال فيه: «من المعتصم خليفة المسلمين إلى كلب الروم. أما بعـد . . إذا وصلك كـتـابي هذا فـأطلق سراحـهـا، وإلا فوالذي بعث مـحمدًا بالحق لو لم تطلق سراحـها لأجردنَّ لك جيـشًا أوله عندك وآخره عندي»، يقـول المؤرخون: لما وقع الإنذار في يد ملك الـروم، ارتعدت أعـصـابه ونادى على جنوده، وقـال لهم: سلحـوا بعض النسـاء من نسـاء الروم وأرسلوا السـيدة المسلمـة في حراسـة النساء مـعززة مكرمة إلى خليفة المسلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعـادى في الله، فـإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عـبد طعم الإيمان وإن كثـرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهلِه شيئًا[1].

---

(١) رواه ابن جرير.

- قوله «من أحب في الله»: أي: أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك.

- قــوله: «وابغض في الله» أي: أبغض من كـفـر بالله وأشرك به وفسق عن طاعتـه لأجل ما فعلوه مما يسخط الله وإن كانوا أقـرب الناس إليه كما قـال الله تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢)، ﴿ يُوَادُّونَ ﴾: يحبون ويوالون، ﴿ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾: من عادى الله ورسوله.

- قوله «ووالى في الله»: هذا والذي قبله من لوازم محبة العبـد لله تعالى، فمن أحب الله تعالى أحب فـيه، ووالى أولياءه، وعـادى أهل معصيـته وأبغضهم، وجـاهد أعداءه ونصر أنصاره.

* وكلما قـويت محبـة العبد لله في قلبـه قويت هذه الأعمـال المترتبـة عليها، وبكمـالها يكمل توحـيد العـبد،

ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه، فمقلّ ومستكثر ومحروم.

- قوله: «**فإنما تنال ولاية الله بذلك**»: أي: توليه لعبده.

ولأحمد والطبراني عن النبي ﷺ قال: «**لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله، فقد استحق الولاية لله**»، وفي حديث آخر: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله - عَزَّ وجَلَّ -**» (١).

- قوله: «**ولن يجد عبد طعم الإيمان ...**» إلى آخره، أي: لا يحصل له ذوق الإيمان ولذته وسروره وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، أي: حتى يحب في الله، ويبغض في الله، ويعادي في الله، ويوالي في الله.

* وفي حديث أبي أمامة مرفوعًا: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**» (٢).

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) رواه أبوداود.

قوله: «**وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا**»: أي: لا ينفعهم بل يضرهم، كما قال تعالى: ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (الزخرف: ٦٧)، أي: المتصادقون على معاصي الله في الدنيا، والمعنى: كل صداقة عداوة يوم تقوم الساعة إلا صداقة المتقين لله تعالى.

وقد كان الصحابة ﭬ من المهاجرين والأنصار في عهد نبيهم ﷺ وعهد أبي بكر وعمر ﭭ يؤثر بعضهم بعضًا على نفسه، محبة في الله، وتقربًا إليه، كما قال تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ (الحشر: ٩)، وعن ابن عمر ﭭ قال: لقد رأيتنا على عهد رسول الله ﷺ وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم[١].

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن أحد أولاده اتخذ خاتمًا واشترى له فصًا بألف درهم فكتب إليه: أما بعد، فقد

---

(١) رواه ابن ماجه.

بلغني أنك اشتريت فصًا بـألف درهم، فبعه وأشبع به ألف جائع، واتخذ خاتمًا من حـديد واكتب عليه: **«رحم الله امرءً عرف قدر نفسه»**.

حـــزب الله

في معنى قـوله تعالى: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُون بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(المجادلة: ٢٢).

﴿ **يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ** ﴾: أي: لا يوادون المحـادين ولو كانوا من الأقربين.

﴿ **وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ** ﴾: نزلت في أبي عبـيدة ﷺ، قتل أباه يوم بدر.

﴿ **أَوْ أَبْنَاءَهُمْ** ﴾: نزلت في الصـديق أبو بكر ﷺ، همَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن.

﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾: نزلت في مصعب بن عمير ﵁، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذٍ.

﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: نزلت في عمر ﵁، قتل قريبًا له يومئذٍ، وفي حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث ﵃ قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذٍ.

﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: أي: من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه وأخاه فهذا ممن كتب الله له السعادة وقررها في قلبه، وزين الإيمان في بصيرته، ولما سخطوا على الأقارب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم، والفضل العميم.

﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾: أي: عباد الله وأهل كرامته.

﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة.

* ❋ *

يوم الغضب الأعظم

يوم اشتد فيه غضب الله سبحانه وتعالى وغضب رسوله ﷺ

يوم أُحُد، فيه أُصيب النبي ﷺ من الجراح حتى كسرت رباعية أسنانه، وفيه قُتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، قُتل غدرًا بحربة وحشي بن حرب.

* في (طبقات ابن سعد) عن عمير بن إسحق قال: كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد بسيفين، ويقول: أنا أسد الله، وجعل يُقبل ويُدبر، فبينما هو كذلك إذ عثر عثرة فوقع على ظهره، وبصر به الأسود فزرقه[1] بحربة فقتله.

* وفيها أيضًا أن هند لما لاكت كبده، ولم تستطع أكلها قال ﷺ: «أأكلتْ منها شيئًا؟»، قالوا: لا، قال: «ما كان الله ليدخل شيئًا من حمزة النار»[2].

---

(١) **المزارق**: رمح قصير أخف من العنزة، **وزرقه بالرمح**: طعنه.

(٢) أهـ . القسطلاني.

وفي صحيح البخاري أن أبا هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه** - يشير إلى رباعيته -، **اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله**».

وعن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: اشتد غضب الله على من قتله النبي ﷺ في سبيل الله، اشتد غضب الله على قوم دَمَّوْا وجه نبي الله ﷺ.

وعن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة ﷺ بنت رسول الله ﷺ تَغسِلُهُ، وعليٌّ يسكب الماء بالمجنِّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدماء إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها، فاستمسك الدم، وكُسرت رباعيته يومئذٍ، وجُرح وجهه وكُسرت البيضة على رأسه.

دعوة غضب لله تعالى

وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضبًا لله ولدينه على فرعون وملئه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم، ولا يجيء منهم شيء، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٨-٨٩).

هذا إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى عليه السلام على عدو الله فرعون وملئه ـ وهم قومه من القبط ومن كان على ملته ودان بدينه ـ، لما أبوا قبول الحق، واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلمًا وعلوًا وتكبرًا وعتوًا، فبالرغم من استظهار الحق الواضح الجلي، الحسِّي والمعنوي، والبرهان القطعي من موسى إلا أن فرعون تكبر

عن اتباع هذا الحق وعاند وتمرد واستمر على الباطل، لذا كانت دعوة موسى عليه السلام على فرعون وأتباعه: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾: أي: غيّرها، فطمس الله على أموالهم، فصارت حجارة، ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أي: اطبع عليها بالضلالة حتى لا تلين للإيمان. وهذه دعوة غضب لله تعالى ولدينه ولبراهينه، فاستجاب الله تعالى لها وحققها وتقبلها، كما استجاب لنوح عليه السلام حينما دعا على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦-٢٧)، فأهلك الله جميع من على وجه الأرض من الكافرين، حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال: ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود: ٤٣).

رابعًا - الغضب والحمية للغيرة

قال ﷺ : «إن سعدًا لغيور، وأنا أغير من سعد، والله أغير مني»[١]، وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها، وضعت الصيانة في نسائها.

وأما ثمرة الحمية الضعيفة، فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة، واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس، وهو مذموم، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو صونها. ومن ضعف غضبه ماتت غيرته، مما ينتج عنه الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النور: ٢).

* وقال وَرَّادٌ عن المغيرة: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصفح، فقال

(١) رواه البخاري ومسلم.

النبي ﷺ : «**أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني**»[1].

* وعن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله**»[2].

* وعن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يَغَارُ وغيرة الله أن يأتي المؤمن بما حرَّم الله**»[3].

* وعن أبي هريرة قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس فقال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا؟ قال: هذا لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً**» فبكى عمر وهو في المجلس ثم قال: «أوَعليك يا رسول الله أغار؟!»[4].

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) رواها البخاري.

* وفي رواية لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة - أو أتيت الجنة - فأبصرت قصراً فقلت: لمن هذا؟، قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله، فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك**»، قال عمر بن الخطاب: «يا رسول الله بأبي أنت وأمي يا نبي الله أَوَعليك أغار؟!»[١].

حديث الإفك

جاء في عشر آيات من سورة النور نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين واتهموها بأحد أصحاب النبي ﷺ، وهو صفوان، بما قالوه من الكذب والبهت والفرية التي غار الله - عَزَّ وجَلَّ - لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ

---

(١) رواه البخاري.

هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ١١-٢١).

أي: الذين جاؤوا بالكذب والبهت والافتراء جماعة منكم، وكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبًا حتى نزل القرآن، وقال رسول الله ﷺ: «أبشري ياعائشة، أما الله - عَزَّ وجَلَّ - فقد برأك».

﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾: أي يا آل أبي بكر، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا، ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم، ثم تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصتها رضي الله عنها، حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء،

فإن الذي وقع لم يكن ريبة، حيث كان مجيء أم المؤمنين راكبة جهرةً على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة، والجيش بكامله يشاهدون ذلك، ولو كان الأمر فيه ريبة لم يكن هكذا، ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ : أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرًا سهلاً، ولو لم تكن زوجة رسول الله ﷺ ، لما كان هينًا، فكيف وهي زوجة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يُقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل، فإن الله تعالى يغار لهذا، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ لا يقبل على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشا وكلا، ولما لم يكن ذلك، فكيف يكون هذا في سيدة من نساء الأنبياء، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة.

دروس مستفادة وعِبَر:

وقصة حديث الإفك ـ والذي أحدث هزة إسلامية ـ مشروحة مفصلاً في كتب التفسير والسيرة، فليرجع إليها

من شاء، فإن فيها عبـرًا كثيرة وتوجيهات للأزواج، والآباء وغيـرهم من أجل حماية الأسـرة من العصـبية الجـاهلية، والغيرة الباطلة والتي تؤدي بها إلى الانحلال والانهيار.

ولعـل الله ـ سبحـانه وتعالى ـ، أراد من حـدوث هذه التهـمة في زوجة نبيـه ـ نفسه ـ كي لا يدهش المسلمون إذا وقعـوا في مثل هذه الأزمـة وهذا الامتـحان، فعـليهم أن يلزمـوا الصبـر والهدوء والتـحقـيق النزيه، والمثل العـامي يقول: الناس اتهـموا زوجة النبـي!، ومعنى ذلك أنهم إذا اتهموا غـيرها فليس بعجـيب، وينبغي أن نكون على علم دائمًا من أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته.

والذي يهـمنا هنا هو مـوقف الرسول ﷺ المشـرف الرزين لما علم بهذه الـتهمة، فـإنه وإن تألم فقد صـبر ولم يتسـرع، على الرغم من شيـوع الخبـر بصورة واسـعة بين المسلمين حتى جاء الوحي بتبرئتها، وهكذا فليكن الأزواج.

كما يهمنا أيضًا موقف الصحابي الجليل أبي بكر الصديق ﷺ، فقد كان على الرغم من شدة المحنة والابتلاء في أعز شيء عنده وعند العرب وهو العِرْض، مثال الأب الصبور الحكيم، فلم يأت بشيء من صفات التسرع والغيرة الباطلة التي اتصف بها العرب قبل الإسلام، والتي حدث بسببها فواجع وأهوال، وجرائم تقشعر منها الأبدان، وهكذا فليكن الآباء.

حقًا لقد كان لحادثة الإفك مآسٍ، ولكن كان فيها إلى جانب ذلك العبر والمواعظ والدروس .. حتى الزوجات ليتجنبن مواقف التهم ما استطعن إلى ذلك سبيلاً.

لا عصبية في الإسلام

بعد أن شن الإسلام حملاته على معتقدات الجاهلية وأوهامها، لما لها من خطر على العقل والخلق والسلوك، شن غارات مثلها على تقاليد الجاهلية التي كانت تقوم على العصبية والكبرياء والفخر وتمجيد القبيلة، وكان أول ما

صنعه الإسلام في ذلك أن أهال التراب على العصبية بكل صورها، وحرم على المسلمين أن يحيوا أي نزعة من نزعاتها أو يدعوا إليها، وأعلن النبي ﷺ براءته ممن يفعل ذلك، قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[١]، فلا امتياز للون معين من البشرة، ولا لجنس خاص من الناس، ولا لرقعة معينة من الأرض، ولا يحل لمسلم أن يتعصب للون على لون، ولا لقوم على قوم، ولا لإقليم على إقليم، ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينتصر لقومه في الحق والباطل، والعدل والجور.

* عن واثلة بن الأسقع قال: قلت: يا رسول الله، ما العصبية؟، قال: «أن تعين قومك على الظلم»[٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة.
(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه.

لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ (النساء: ١٣٥)، وقال - عز وجل -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (المائدة: ٨)، أي: كونوا قوامين بالحق لله - عز وجل -، لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا: ﴿ شهداء بالقسط ﴾: أي: بالعدل، لا بالجور.

* وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال: نحلني أبي نحلاً، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد عليه رسول الله ﷺ، فجاءه ليشهده على صدقتي، فقال: «أكل ولدك نحلت مثله؟»، قال: لا، فقال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»، قال: «إني لا أشهد على جور»، قال: فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة.

وقوله: ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ﴾: أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد؛ صديقًا كان أو عدوًا،

ولهذا قال: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه.

وعـدل النبي ﷺ مفـهوم هـذه الكلمة التي كـانت شائعـة في الجاهلية، ومـأخوذة على ظاهرها: **«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»**، ولما قالها ﷺ لأصـحابه بعد أن رسخ في قلوبهم الإيمان ـ مريدًا بها معنى آخر ـ عجبوا ودهشوا، وقالـوا يا رسول الله: هذا ننصـره مظلومًا، فكيف ننـصره ظالمًا؟، قال: **«تمنعه من الظلم فذلك نصر له»**[1].

ومن هنا نعلم أن كل دعـوة بين المسلمين إلى عصبـية إقليمية أو إلـى عصبية عنصرية، إنما هي دعوة جـاهلية يبرأ منها الإسلام ورسوله وكتابه، فالإسلام لا يعترف بأي ولاء لغير عقيـدته، ولا بأي رابطة غير أخوته، ولا بأي فواصل تميز بين الناس غير الإيمان والكفر، فالكافر المعادي للإسلام عدو للمسلم، ولو كان جاره في وطنه، أو أحد بني قومه،

(١) رواه البخاري.

بل ولو كان أخاه لأبيه وأمه، قال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ ﴾ (التوبة: ٢٣).

ولقد كانت لأحد أدباء مصر المشهورين مقولة يعتز بها كنا نتمنى أن يتراجع عنها قبل رحيله - كان يقول: نحن نعتز بفرعونيتنا ومصريتنا أكثر من اعتزازنا بعروبتنا وإسلامنا!!، وهي عصبية ما أُريد بها وجه الله - عَزَّ وجَلَّ - بل هي من أمواج الفلسفات التي تضع بحملها على شواطئ الكفر والإلحاد.

لا اعتداد بالأنساب والألوان

روى البخاري أن أبا ذر وبلالاً الحبشي رضي الله عنهما، - وكلاهما من السابقين الأولين - تغاضبا وتسابا، وفي ثورة الغضب قال أبو ذر لبلال: يا ابن السوداء!، فشكاه بلال إلى

النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ لأبي ذر: «أعيرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية!»[1].

* وعن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود، إلا أن تفضله بتقوى الله»[2]، وقال ﷺ: «كلكم بنوا آدم، وآدم خُلِقَ من تراب»[3].

وبهذا حرَّم الإسلام على المسلم أن يسير مع هوى الجاهلية في التفاخر بالأنساب والأحساب، والتعاظم بالآباء والأجداد، وقول بعضهم لبعض: أنا ابن فلان، وأنا من نسل كذا، وأنت من سلالة كذا، أنا من البيض وأنت من السود، أنا عربي وأنت أعجمي.

وما قيمة الأنساب والسلالات إذا كان الناس جميعًا ينتمون إلى أصل واحد؟، ولو فرض أن للأنساب قيمة فما فضل الإنسان أو ذنبه إن ولد من هذا الأب أو ذاك؟، يقول

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه البزار.

الرسول ﷺ: «إن أنسابكم هذه ليست بمسبَّة على أحد، كلكم بنوا آدم ليس لأحد على أحد فضل، إلا بدين أو تقوى»[(١)]، وقال: «الناس لآدم وحواء، إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا أنسابكم يوم القيامة، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[(٢)].

وصب النبي ﷺ جام غضبه على المتفاخرين بالآباء والأجداد في عبارات صارمة قارعة، فقال: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجُعْل الذي يُدهْدهُ الخرء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس بنوا آدم وآدم خُلق من تراب»[(٣)].

- **«والجعل»**: دويبة أرضية، **«ويدهده»**: يدحرج.

---

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه ابن جرير.
(٣) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، والبيهقي بإسناد حسن.

وفي حجة الوداع حيث الآلاف يستمعون في أوسط أيام التشريق في الشهر الحرام والبلد الحرام، ألقى النبي ﷺ خطبة الوداع، فكان من المبادئ التي أعلنها: **«يا أيها الناس إن ربكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣)»**[١] .

وبينما عمر بن الخطاب جالس، إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين: هذا مقام العائذ بك، فقال عمر: لقد عذت بمجير، فما شأنك؟، قال: سابقت على فرس ابنًا لعمرو بن العاص فسبقته، فجعل يقمعني بسوطه ويقول: أنا ابن الأكرمين، فبلغ ذلك عَمْرًا أباه فخشى أن آتيك فحبسني في السجن فانطلقت منه فهذا الحين جئتك، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، وهو أمير على مصر: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك

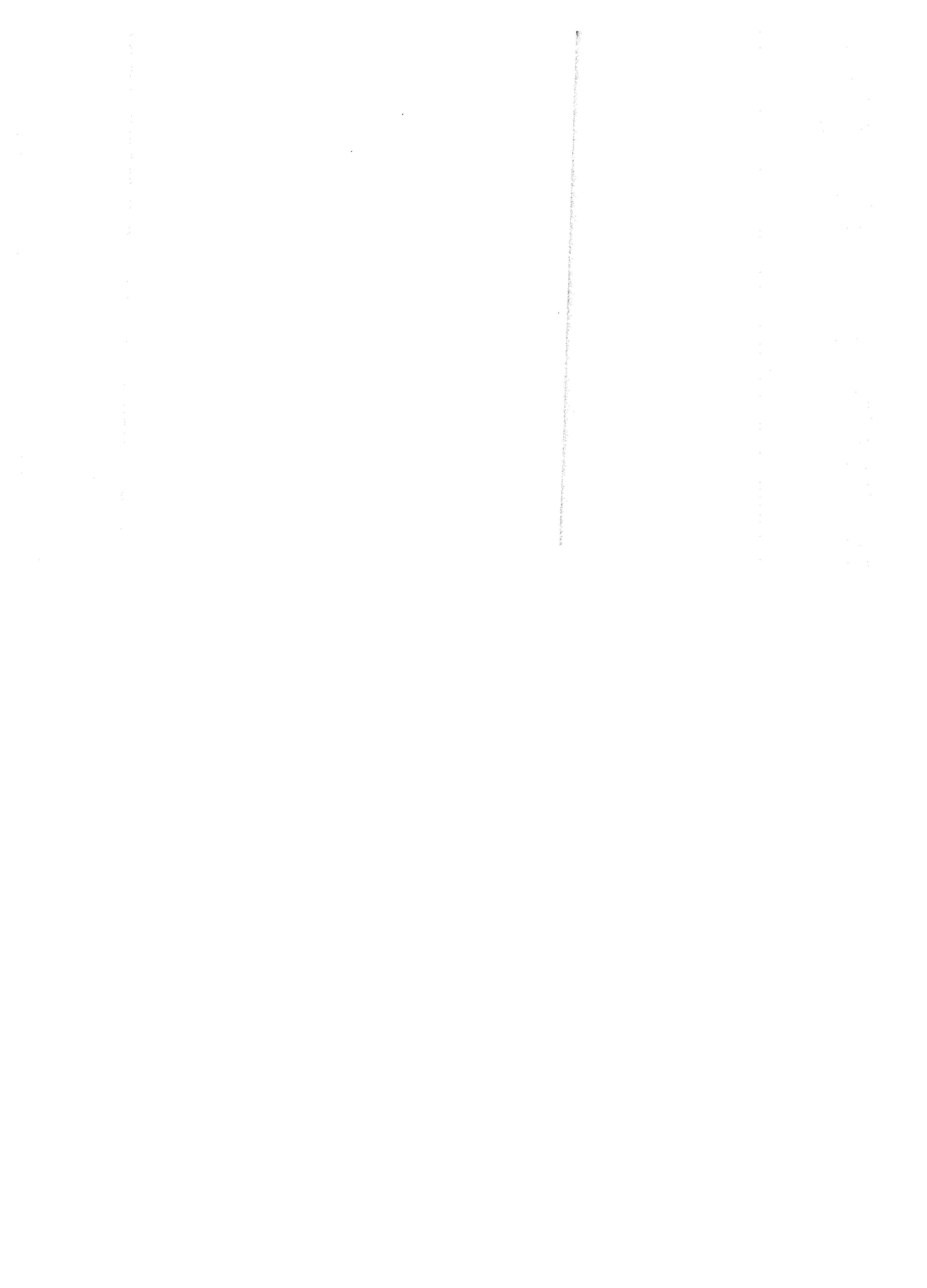
---

(١) رواه البيهقي.

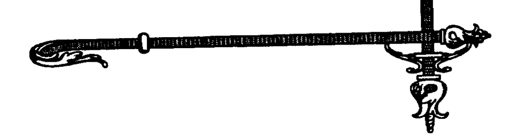
فلان، وقال للمصري: أقم حتى يجيء، فقدم عمرو فشهد الحج، فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس، وعمرو بن العاص وابنه إلى جـانبه، قام المصـري فرمى إليه عـمر بالدرة وضربه فلم ينزع حـتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمـر يقول: اضرب ابن الأكرمين، فقال: يا أمير المؤمنين قد اسـتوفيت واشتفيت، قـال: ضعها على صلعـة عمـرو، قـال: يا أمـير المؤمنين قـد ضـربت الذي ضربني، قال: أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع، ثم قال لعمـرو: يا عمرو متى استـعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!(١).

* * *

(١) هكذا في «منهاج المسلم».



الفصل الثالث



الحذر من الغضب وذكر علاجه

يحذرنا - سبحانه وتعالى - من سوء الغضب في قوله - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٧).

أي: سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصُّرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(١)].

* وعنه رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني: قال: «**لا تغضب**»، فردد مراراً قال: «**لا تغضب**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

* وعن عدي بن ثابت حدثنا سليمان بن صُرَد قال: اسْتَبَّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه فقال النبي: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يَجِدُ، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟، قال: إني لست بمجنون.

* ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، أي: إذا قاربهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم، والغيظ: هو الغضب المحيط بالكبر، وهو أشد الحنق، وفي التنزيل: قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (آل عمران: ١١٩)، ـ أي يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة وهم في الباطن على أشد الغيظ والحنق من الحسد ـ فلا يكون الغيظ إلا

بوصول مكروه إلى المغتاظ، وقد يقام الغيظ مقام الغضب في حق الإنسان فيقال: اغتاظ من لا شيء كما يقال: غضب من لا شيء.

كما يحذرنا - سبحانه وتعالى - من الوقوع في الغضب بالاستعاذة به - سبحانه وتعالى - فيقول - جَلَّ شأنه -: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت:٣٦)، أي: إن شيطان الجن لا حيلة له إذا وسوس ليشعل نار الغضب أو وسوس ليدفع بابن آدم إلى المعصية، إلا الاستعاذة بخالقه، فإذا استعذت بالله والتجأت إليه كفه عنك ورد كيده.

ويحذرنا أيضًا - عَزَّ وَجَلَّ - من أن نتبع مسالك الشيطان وما يأمر به، فيقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (النور:٢١)، وفي سورة البقرة: ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة:١٦٨)، وقال

تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٩).

* قال مطرف: أغشُّ عباد الله لعبيد الله: الشيطان.

* وقال عيسى عليه السلام ليحيى بن زكريا - عليهما السلام -: «إني معلمك علماً نافعاً .. لا تغضب»، فقال: وكيف لي أن لا أغضب؟، قال: «إذا قيل لك ما فيك فقل: ذنب ذكرته أستغفر الله منه، وإن قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيرت به، وهي حسنة سيقت إليك».

* وقال لقمان لابنه: «إذا أردت أن تؤاخي أخاً فأغضبه، فإن أنصفك وهو مغضب وإلا فاحذره».

* وفي الحديث: ثلاث أقسم عليهن: «ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله».

وخرَّج الإمام أحمد من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال:

قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «**لا تغضب**»، قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله وفي هذا دليل على أن الغضب جماع الشر، وأن التحرز منه جماع الخير، فقد خرَّج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال: قلت: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: «**لا تغضب ولك الجنة**»، معناه: لا تنفذ غضبك، وليس النهي راجعًا إلى نفس الغضب لأنه من طباع البشر ولا يمكن للإنسان دفعه.

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ما تقدم هو حسم لمواد الغضب حتى لا يهيج، فإذا جرى سبب هيجه، فعنده يجب التثبيت، حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم، وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل، أما العلم فهو أمور:

أحدها - أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ، والعفو والحلم والاحتمال، كما جاء في البخاري

من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً استأذن على عمر رضي الله عنه، فأذن له، فقال له: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه، حتى هم أن يوقع به، فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

الثاني ـ أن يخوف نفسه عقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله عليَّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبي لم آمن أن يمضي الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ غضبه عليَّ يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

* وقد قال الله تعالى في حديث قدسي: «**يا ابن آدم اذكرني عند الغضب أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك فيمن أمحق**».

والثالثـ أن يحذر نفسه عاقبة العداوة، والانتقام، وتشمير العدو في هدم أعراضه، والشماتة بمصائبه، فإن الإنسان لا يخلو عن المصائب، فيخوف نفسه ذلك في الدنيا، إن لم يخف من الآخرة، وهذا هو تسليط شهوة على غضب، ولا ثواب عليه، لأنه تقديم لبعض الحظوظ على بعض، إلا أن يكون محذوره أن يتغير عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.

والرابع ـ أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب على ما تقدم، وأنه يشبه حينئذٍ القلب الضاري، والسبع العادي، وأنه يكون مجانبًا لأخلاق الأنبياء والعلماء في عاداتهم، لتميل نفسه إلى الاقتداء بهم.

الخامس ـ أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام، مثل أن يكون سبب غضبه أن يقول له الشيطان: إن هذا يحمل منك العجز، والذلة والمهانة، وصغر النفس، وتصير حقيرًا في أعين الناس، فليقل لنفسه: تأنفين من

الاحتمال الآن، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة، والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك، وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين، وينبغي أن يكظم غيظه، فذلك يعظمه عند الله تعالى، فما له وللناس؟، أفلا يحب أن يكون هو القائم يوم القيامة إذا نودي: ليقم من وقع أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا، فهذا وأمثاله ينبغي أن يقرره على قلبه.

السادس ـ أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى، لا على وفق مراده، فكيف يقدم مراده على مراد الله تعالى، هذا ما يتعلق بالقلب.

أما المعالجة العملية:

فينبغي لها السكون، والتعوذ، وتغيير الحال، وإن كان قائمًا جلس، وإن كان جالسًا اضطجع، قد أمرنا بالوضوء أيضًا عند الغضب، وهذه الأمور وردت في الأحاديث،

فقد كان النبي ﷺ يأمر من غـضب بتعاطي أسباب تدفع عنه الغضب وتسكنه، ويمدح من ملك نفسه عند غضبه.

* خرَّج الإمام أحمد والترمـذي من حديث أبي سعيد الخـدري أن النبي ﷺ قال فـي خطبتـه: «**ألا إن الغـضب جـمـرة في قـلب ابن آدم، أفـمـا رأيـتم إلى حـمـرة عـينيـه وانتـفـاخ أوداجه، فمن أحس من ذلك بشيء فليلزق بالأرض**».

* وخرَّج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»، وقد قـيل إن المعنى في هذا أن القـائم متـهيء للانتـقام والجـالس دونه في ذلك، والمضطجع أبعـد منه، فأمره بالـتباعـد عن حالة الانتـقام، وقيل عن الجلوس والاضطجاع: إنما أمـر بذلك ليقرب من الأرض التي منهـا خُلق، فيـذكـر أصله فيـذل، ويمكن أن يكون ليتواضع بذله، لأن الغضب ينشأ من الكبر، بدليل ما

روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه ذكر الغضب، وقال: «من وجد شيئًا من ذلك، فليلصق خده بالأرض».

وأما الحكمة في الوضوء عند الغضب فقد بينها في الحديث الذي خرجه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عروة بن محمد السعدي أنه كلمه رجل بكلام، فغضب غضبًا شديدًا، فقام فتوضأ ثم قال: حدثني أبي عن جدي عطية وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تطفئ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

* وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم فليسكت»، قالها ثلاثًا، وهذا أيضًا دواء عظيم للغضب، لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيرًا من السباب وغيره مما يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه.

* وما أحسن قول مورق العجلي - رحمه الله -: ما امتلأت غضبًا قط، ولا تكلمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت.

وغضب يومًا عمر بن عبد العزيز، فقال له ابنه عبد الملك - رحمهما الله -: أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟! فقال له: أو ما تغضب يا عبد الملك؟، فقال له عبد الملك: وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر؟.

* وقيل: غضب المهدي على رجل، فدعا بالسياط، فلما رأى «شبيبٌ» شدة غضبه، وإطراق الناس، فلم يتكلموا بشيء، قال: يا أمير المؤمنين، لا تغضبن لله بأشد مما غضب لنفسه، فقال: خلوا سبيله .. فهؤلاء قوم ملكوا أنفسهم عند الغضب فامتازوا بالقوة والشدة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند

الغضب»، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ما تعدون الصرعة فيكم؟»، قلنا: الذي لا تصرعه الرجال، قال: «ليس ذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب».

* وفي ذلك يقول - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

* ومن هديه ﷺ في الدعاء عند الغضب ما ذكره ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال: «يا عويش: قولي: اللهم رب النبي محمد، اغفر ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وآجرني من مضلات الفتن»، وكان من دعائه ﷺ: «أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا».

زوال الغضب بالرياضة وغيرها:

* يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين): اعلم أنه مادام الإنسان يحب شيئًا ويكره شيئًا، فلا

يخلو من الغيظ والغضب، لأنه من مقتضى الطبع، إلا أنه قد تفيد الرياضة في محو قوته، وذلك بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقًا راسخًا. فالرياضة ليست لينعدم غلظ القلب، لأنه غير ممكن، ولكن ليستعمله على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل، وذلك بكسر ثورته وتضعيفه، حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن، وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه، وقد يتصور فقد الغيظ بغلبة نظر التوحيد، أو بأن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ، فتطفئ شدة حبه لله تعالى غيظه، أو بأن يشتغل القلب بضروري أهم من الغضب، فلا يكون في القلب متسع للغضب، لاشتغاله بغيره، فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه. اهـ.



تجارة رابحة
ذبح الغضب

* عن علي بن الحسين ﷺ: أنه سَبَّه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة:

١ ـ الحلم.

٢ ـ وإسقاط الأذى.

٣ ـ وتخليص الرجل مما يبعده من الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

٤ ـ وحمله على الندم والتوبة.

٥ ـ ورجوعه إلى المدح بعد الذم.

ـ اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير.

* وسب رجل ابن عباس ﷺ، فلما فرغ قال: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فتقضيها له؟، فنكس الرجل رأسه واستحى.

* وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ﷺ: أشهد أنك من المنافقين، فقال له: ليس تُقبل شهادتك.

* وقال رجل لأحد الحكماء: والله لأسبنك سبًا يدخل معك في قبرك، فقال: معك يدخل، لا معي.

* وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به، فذبحت الغضب.

* وقال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب، فيشتد غضبه، فكتب ثلاث صحائف، وأعطى كل صحيفة رجلاً، وقال للأول: إذا غضبت فأعطني هذه، وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه، وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فأعطني هذه، فاشتد غضبه يومًا فأُعطى الصحيفة الأولى، فإذا فيها: ما أنت وهذا الغضب؟!، إنك لست بإله! إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضًا؛ فسكن بعض غضبه، فأُعطى الثانية، فإذا

فيها: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فأُعطى الثالثة، فإذا فيها: خذ الناس بحق الله، فإنه لا يصلحهم إلا ذلك، أي: لا تعطل الحدود.

* خرج ابنٌ لعمر بن عبد العزيز وهو صغير يلعب مع الغلمان، فشجه[١] صبي منهم فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه وجاءوا به إلى عمر، فخرج إليهم فإذا امرأة تقول: إنه ابني وإنه يتيم، فقال لها عمر: هوِّني عليك، والتفت إلى الصبي، وقال: أله عطاء في الديوان؟، فقالت: لا، قال: فاكتبوه في الذرِّية، فقالت زوجته فاطمة: أتفعل هذا به وقد شج ابنك؟، فعل الله به وفعل .. المرة الأخرى يشج ابنك ثانية، فقال لها: ويحك إنه يتيم وقد أفزعتموه.

* * *

(١) شجه: أصابه وجرحه في رأسه.

مجاهدة الغضب

في التحلي بالصبر، واحتمال الأذى

من محاسن أخلاق المسلم التي يتحلى بها: الصبر، واحتمال الأذى في ذات الله تعالى، أما الصبر: فهو حبس النفس على ما تكره، واحتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم، فالمسلم يحبس نفسه على ما تكرهه من عبادة الله وطاعته، ويلزمها بذلك إلزامًا، ويحبسها دون معاصي الله - عَزَّ وجَلَّ - فلا يسمح لها باقترافها، ولا يأذن لها في فعلها، ويحبسها على البلاء إذا نزل بها فلا يتركها تجزع ولا تسخط، إذ الجزع - كما قال الحكماء - على الفائت: آفة، وعلى المتوقع: سخافة، والسخط على الأقدار: معاتبة لله الواحد القهار، وهو في كل ذلك مستعين بذكر الله تعالى بالجزاء الحسن على الطاعات، وما أعد لأهلها من جزيل الأجر، وعظيم المثوبات، وبذكر وعيده تعالى لأهل بغضه وأصحاب معصيته، من أليم العذاب، وشديد العقاب،

ويتذكر أن أقدار الله جارية، وأن قضاءه تعالى عدل، وأن حكمه نافذ، صبر العبد أم جزع، غير أنه مع الصبر الأجر، ومع الجزع الوزر. ولما كان الصبر وعدم الجزع من الأخلاق التي تكتسب وتنال بنوع من الرياضة والمجاهدة، فالمسلم بعد افتقاره إلى الله تعالى أن يرزقه الصبر، فإنه يستلهم الصبر بذكر ما ورد فيه من أمر، وما وعد عليه من أجر.

كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، وقوله: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ (البقرة: ٤٥)، وقوله: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ (النحل: ١٢٧)، وقوله: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧)، وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧)، وقوله: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٦)، ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠).

* ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «الصبر ضياء»[١]، وقوله: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله، وما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»[٢].

* وقوله: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[٣].

* وقوله ﷺ لابنته وقد أرسلت إليه تطلب حضوره إذ ولدها قد احتضر فقال لرسولها: «فلتصبر ولتحتسب»[٤].

* وقوله: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[٥].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه الترمذي وابن ماجه.

وأما احتمال الأذى: فهو الصبر ولكنه أشق، وهو بضاعة الصديقين، وشعار الصالحين، وحقيقته أن يؤذى المسلم في ذات الله تعالى فيصبر ويتحمل فلا يرى السيئة بغير الحسنة، ولا ينتقم لذاته، ولا يتأثر لشخصيته مادام ذلك في سبيل الله، ومؤديًا إلى مرضات الله، قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وأسوته في ذلك المرسلون والصالحون إذ يندر من لم يؤذ منهم في ذات الله، ولم يبتلَ في طريقه إلى الوصول إلى الله.

* قال عبد الله بن مسعود ﷺ: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: **«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**[١].

---

(١) متفق عليه.

هذه صورة من صور احتمال الأذى كانت لرسول الله ﷺ ، وصورة أخرى ذكرناها له ﷺ عندما قَسَّمَ يومًا مالاً، فقال أحد الأعراب: قسمة ما أريد بها وجه الله، فبلغ ذلك رسول الله فاحمرت وجنتاه، ثم قال: «**يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفُّهم الملَّ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم مادمت على ذلك**»[2]، وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانًا إذا لم يصبر على الأذى!

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.

* وقال خباب بن الأرت ﷺ: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تنتصر لنا، ألا تدعو لنا، فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دين الله»[1]، وقص الله لنا عن المرسلين وحكى عنهم قولهم وهم يتحملون الأذى فقال: ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم: ١٢).

على ضوء هذه الصور الناطقة، والأمثلة الحية من الصبر والتحمل يعيش المسلم صابرًا محتسبًا متحملاً، لا يشكو ولا يتسخط ولا يغضب، ولا يدفع المكروه بالمكروه، ولكن يدفع السيئة بالحسنة ويعفو ويصبر ويغفر: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ

---

(١) رواه البخاري.

وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣)، ويبشر - سبحانه وتعالى - الصابرين على ما أصابهم بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الحج: ٣٤-٣٥)، ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ : المطمئنين إلى الله - عَزَّ وجَلَّ - والمتواضعين له، أو المخبتين الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

ويصفهم - سبحانه وتعالى - بأنهم إذا ذكر الله خافت منه قلوبهم، والصابرون على ما أصابهم من المصائب، والمؤدون حق الله فيما أوجب عليهم من أداء الفرائض، وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله. ولقد تعلمنا تحت مظلة الإسلام أن جارك إذا لم يحافظ على حقوقك وأضاعها فلا تعامله بالمثل وتأكل عليه حقوقه، وربما كان تصرف الجار متعمدًا

بإيذائك، فلتجاهد ذلك بالتحلي بالصبر واحتمال الأذى، ولتكن أسلحتك الدفاعية الكرم وحسن الخلق متمثلة في إلقاء السلام والزيارات المتكررة . . إلى غير ذلك مما يكون له أكبر الأثر في هداية هذا الجار، وعليك التجربة لتتأكد من سحر هذه النصيحة الإسلامية، وتكون بذلك قد أقمت دعوة بطريق غير مباشر، ولتتذكر حديث رسول الله ﷺ : **«والله لا يؤمن - قالها ثلاثًا - من لم يأمن جاره بوائقه»** .

ثواب الصبر

في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠) .

* عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: **«يؤتى بالشهيد يوم القيامة، فيوقف للحساب، ثم يؤتى بالمتصدق، فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء، فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينصب لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صبًا، حتى إن أهل**

العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض، من حسن ثواب الله» [(١)].

- و**«الديوان»**: موضع الحساب.

- **«الصبر الجزيل الثواب»**: هو الصبر الجميل، والذي لا يقارنه جزع ولا سخط على ما نزل من البلاء، أما السكون مع الجزع، فهو تصبر يرجى معه الوصول إلى منازل الصابرين.

* عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: **«من يتصبر يصبره الله، وما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»** [(٢)].

* وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟، قال: **«الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» بسند جيد.
(٢) أخرجه البخاري، ومسلم مطولاً.

اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1].

- «الأمثل»: الأفضل.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الرياح تفيئه، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء. ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز، لا تهتز حتى تُستَحْصَد»[2].

- «تفيئه»: تحركه.

- «تستحصد»: يحين حصادها.

* * *

(1) أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، وابن حبان.

(2) أخرجه مسلم، والترمذي.

الحث على كظم الغيظ

قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، فذكر ذلك في معرض المدح وخرَّج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه؛ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء».

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى». ومن حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «ما من جرعة أحبُّ إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظم عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيمانًا»، وخرَّج أبو داود معناه من رواية بعض الصحابة عن النبي ﷺ وقال: «ملأه الله أمنًا وإيمانًا».

* ورُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون، وقال ميمون بن مهران: جاء رجل إلى سلمان فقال: يا أبا عبد الله أوصني، قال: لا تغضب، قال: أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك[1].

ـ وملك لسانه ويده هو الذي أشار إليه النبي ﷺ بأمره لمن غضب أن يجلس ويضطجع، وبأمره له أن يسكت.

* قال عمر بن عبد العزيز: قد أفلح من عصم عن الهوى والغضب والطمع. وقال الحسن: أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحَرَّمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة، والشهوة والغضب. فهذه الأربع التي ذكرها الحسن هي مبدأ الشر كله:

---

(١) خرجه ابن أبي الدنيا.

فإن «الرغبة»: في الشيء هي ميل النفس إليه لاعتقاد نفعه، فمن حصل له رغبة في شيء حملته تلك الرغبة على طلب ذلك الشيء من كل وجه يظنه موصلاً إليه، وقد يكون كثيرًا منها محرمًا، وقد يكون ذلك الشيء المرغوب فيه محرمًا.

- و«الرهبة»: هي الخوف من الشيء، وإذا خاف الإنسان من شيء تسبب في دفعه عنه بكل طريق يظنه دافعًا له، وقد يكون كثير منها محرمًا.

- و«الشهوة»: هي ميل النفس إلى ما يلائمها وتلتذ به، وقد تميل كثيرًا إلى ما هو محرم كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وإلى الكفر والسحر والنفاق والبدع.

- و«الغضب»: هو غليان دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عنه خشية وقوعه أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة: كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال

المحرمة: كالقذف والسب والفحش، وربما ارتقى - والعياذ بالله - إلى درجة الكفر، وكالأيْمان التي لا يجوز التزامها شرعًا، وكطلاق الزوجة.

والواجب على المؤمن أن تكون شهوته مقصورة على طلب ما أباحه الله له وربما تناولها بنية صالحة فأثيب عليها، وأن يكون غضبه دفعًا للأذى في الدين له أو لغيره وانتقامًا، كمن عصى الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١٤-١٥).

وهذه كانت حال النبي ﷺ، فإنه كان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله، لم يقم لغضبه شيء، ولم يضرب بيده خادمًا ولا امرأة إلا أن يجاهد في سبيل الله.

* عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ ، قال : «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[1]، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني فيما شئت، وإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقلت: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[2].

(١) قرن الثعالب: وكان يحرم منه الحجاج من أهل نجد.
(٢) متفق عليه.

- «الأخشبان»: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو الجبل الغليظ.

وخدمه أنس عشر سنين فما قال له: أُفٍّ قط، ولا قال له لشيء فعله: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم يفعله: ألا فعلت كذا، وفي رواية أنه كان إذا لامه بعض أهله قال ﷺ: «دعوه فلو قُضي شيء كان».

* وفي رواية للطبراني قال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما دريت شيئًا قط وافقه ولا شيئًا خالفه، رضى من الله بما كان.

وسُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»، يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه. وجاء في رواية عنها قالت: «كان خُلُقه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه».

وكان ﷺ لشدة حيائه لا يواجه أحدًا بما يكره بل تعرف الكراهة في وجهه، كما في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: «كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه». ولما بلغه ابن مسعود قول القائل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، شقَّ عليه ﷺ وتغير وجهه وغضب، ولم يزد على أن قال: «**لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر**»، وكان ﷺ إذا رأى أو سمع ما يكرهه الله - عزَّ وجلَّ - غضب لذلك، وقال فيه ولم يسكت.

وخرَّج الطبراني من حديث أنس مرفوعًا: «**ثلاث من أخلاق الإيمان: من إذا غضب لم يدخله غضبه في باطل، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه من حق، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له**».

* وقد رُوي عن النبي ﷺ: أنه أخبر عن رجلين ممن كان قبلنا كان أحدهما عابدًا وكان الآخر مسرفًا على نفسه، وكان العابد يعظه فلا ينتهي، فرآه يومًا على ذنب

استعظمه، فقال: والله لا يغفر الله لك، فغفر الله للمذنب وأحبط عمل العابد. وقال أبو هريرة: لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، فكان أبو هريرة ﷺ يحذر الناس أن يقولوا مثل هذه الكلمة في غضب، وقد خرَّجه الإمام أحمد وأبو داود. فهذا غضب لله ثم تكلم في حال غضبه بما لا يجوز، وحتَّم على الله بما لا يعلم فأحبط الله عمله، فكيف بمن تكلم في غضبه لنفسه ومتابعة هواه بما لا يجوز.

وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين: أنهم كانوا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت، فلعنتها، فسمع النبي ﷺ، فقال: «خذوا متاعها ودعوها»، وفيه أيضًا عن جابر قال: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ورجل من الأنصار على ناضح[1] له فتلدّن[2] عليه بعض التلدّن، فقال له: سر

(١) الناضح: يطلق على كل بعير، ونضح الفرس عَرَق، ونضح العرق خرج.
(٢) لَدَّ: يلَدَّ لددًا من باب تعب.

يلعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: «انزل عنه، فلا يصحبنا ملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»، فهذا كله يدل على أن دعاء الغضبان قد يجاب إذا صادف ساعة إجابة، وإنه ينهى عن الدعاء على نفسه وأهله وماله في الغضب.

* ومن هديه ﷺ في: ﴿الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: أنه بعد أن حزن حزنًا شديدًا لمقتل عمه حمزة وبكاه كثيرًا حتى لقبه بسيد الشهداء، إلا أنه ﷺ عندما رأى (وحشي بن حرب) قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، قال له ـ وكان قد أسلم ـ: «أنت وحشي؟»، قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة؟»، قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: «فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟»، قال: فخرجت.. الحديث[1].

(١) رواه البخاري.

* وفيه عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاه، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: «إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي، فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتًا»، قال: من يمنعك مني؟ قلت: «الله»، فشامه[1] ثم قعد فهو هذا ولم يعاقبه رسول الله ﷺ.



(١) فشامه: أي غمده.

الحلم والإناءة والرفق
ثلاثية المحبة في طريق الدعوة

يقول تعالى: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥)، أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والمعنى: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك، حتى يصير وكأنه صديق حميم، أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك.

ويذكرنا ذلك بأخ لنا سائق سابه آخر وانهال عليه من الشتائم نتيجة لخطإ غير متعمد، فالتزم الأخ المسلم بآداب الإسلام ولم يرد، وتمر الأيام ويلتقي الاثنان في إحدى الاستراحات، ودهش هذا الأخ بذاك الذي يطيل النظر إليه

ثم يقترب منه ليُوفه ويُذكره بتلك الحادثة ثم يعتذر إليه آسفًا عما بـدر منه، بل ويلتقيان سـويًا تحت مظلة الإسلام على مائدة الغداء، هكذا يكون الحلم والأناة والرفق ثلاثية المحبة في طريق الدعوة.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعـمل بهــا إلا من صـبـر على ذلك، فـإنـه يشق على النفوس، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعـادة في الدنيا والآخرة، وكما قـال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

* وروى مسلم عن ابن عـباس رضي الله عنهما قال: قـال رسول الله ﷺ لأشجِّ عبد القيس: **«إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»**.

* وعن عائشـة رضي الله عنها قالت: قـال رسول الله ﷺ: **«إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»**[1].

---

(١) متفق عليه.

* وعنها أن النبي ﷺ قال: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه**»[(١)].

* وعنها أن النبي ﷺ قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[(٢)].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي[(٣)] في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «**دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء - أو ذنوبًا من ماء - فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»[(٤)].

---

(١)، (٢) رواهما مسلم.

(٣) **الأعراب**: هم سكان البادية الذين لم يتعودوا الحياة في المدن، ولذلك كانوا يأتون بأعمال يكرهها سكان المدن، وتجب الإشارة هنا إلى التفريق بين العرب، والأعراب، لما يستغله البعض في التضليل خاصة عندما ساءت العلاقة بين مصر والدول العربية في أعقاب الصلح مع اليهود.

(٤) رواه البخاري.

- «السَّجْل»: فتح السين، وإسكان الجيم، وهي الدلو الممتلئة ماء وكذلك الذَّنوب.

* وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا»**[١].

* وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من يحرم الرفق يُحرم الخير كله»**[٢].

* وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بمن يُحَرَّم على النار. أو بمن تحرم عليه النار، تحرم على كل قريب هين لين سهل»**[٣].

فضيلة الحلم:

الحلم صفة نفسية يقتدر بها الإنسان على حبس النفس والتحكم فيها عند الغضب، ولا يكتسبها إلا أصحاب

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

الإرادة القوية، فإن الإنسان بطبيعته إذا ما ارتكب ضده عمل ضار به، أو سمع قولاً يبعث على الغضب ثارت عواطفه، وتوترت نفسه، فاندفع للانتقام، وهنا تجيء صفة الحلم لتحول دون هذه النزعات الشيطانية، وعلى ذلك جاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد هذا المعنى، وتبين أن مقابلة السيئة بالحسنة من أعظم الوسائل التي تجمع بين قلوب الناس وتوطد العلاقة بينهم.

ولقد بلغ الرسول ﷺ في صفة الحلم غاية الكمال وضرب أروع الأمثلة في الوقار والتثبت وعدم التسرع بمقابلة الإساءة بمثلها، والآثار الصحيحة في حلمه ﷺ مستفيضة ومشهورة[1]، ولا أدل على تمكين هذه الصفة من نفس رسول الله ﷺ وأصالتها في خلقه من أنها

---

(١) منها حلمه وصبره عندما بلغه قول الأنصاري: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، فتغير وجه الرسول ﷺ وغضب ثم قال: «أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر».

عمت الجميع حتى شملت أعداءه فكانت سببًا في إسلام الكثير منهم.

واعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلُّم، أي: تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة، صار ذلك اعتيادًا، فلا يهيج الغيظ، وإن هاج، فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفًا، وفي الحديث: «**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقه**»، إشارة إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولاً وتكلفه، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم.

* وعن الحسن، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣) قال: حلماء، إن جُهل عليهم لم

يجهلوا. وعن مجاهد في آية: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٢)، أي: إذا أوذوا صفحوا، وقال أكثم: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر، وقال معاوية: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم.

* وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم». وعن علي رضي الله عنه: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى».

* وقال معاوية لعمرو بن العاص: أي الرجال أسخى؟، قال: من بذل دنياه لصلاح دينه، وقال معاوية لعرابة: بم سدت قومك؟، قال: كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه.

* وقال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥)، هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا غفر الله لي.

* وقال رجل لجعفر بن محمد: إنه وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر، وإني أريد أن أتركه، فأخشى أن يُقال لي: إن تركك له ذل، فقال جعفر: إنما الذليل الظالم.

* وقال محمود الورَّاق:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وإن كثرت منه عليَّ الجرائم

وما الناس إلا واحد من ثلاثة
شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف قدره
وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فإنه قال صنت عن
إجابته عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا
تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

*وقال لقمان: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.

* وجاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة له، فقال له: من كسر رجل هذه؟ قال: أنا فعلته عمدًا لأغيظك، فتضربني، فتأثم، فقال: لأغيظن من حرضك على غيظي، فأعتقه.

* ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في ظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه، وقال: أمجنون أنت؟، فقال عمر: لا، فَهَمَّ به الحراس، فقال عمر: مه، إنما سألني أمجنون؟، فقلت: لا.

* وقال رجل لوهب بن منبه: إن فلانًا شتمك، فقال: ما وجد الشيطان بريدًا غيرك!

فضيلة الرفق:

* عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اللهم من وَلِّيَ من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن وَلِّيَ من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»**[١].

اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب، وحفظها على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه، وقال ﷺ: **«إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق»**[١].

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف»**.

---

(١) رواه أحمد بسند جيد.

وسر الترغيب في الرفق والثناء عليه؛ هو كون الطباع إلى العنف والحدة أميل، وإن كان العنف في محله حسنًا، فإن الحاجة قد تدعو إليه ولكن على الندرة، والكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف، فيعطي كل أمر حقه.

ومن الآثار:

* قال عمر بن عبد العزيز: جاء عن عمرو بن العاص أنه كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني، فكتب إليه معاوية: أما بعد ـ فإن التفهم في الخير زيادة رشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب، أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العَجِل مخطئ، أو كاد أن يكون مخطئًا، وإن من لا ينفعه الرفق، يضره الخُرْق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي.

* وقال أبو حمزة الكوفي: لا تتخذ من الخدم إلا ما لابد منه، فإن مع كل إنسان شيطانًا، واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئًا، إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه.

وبلغ عمربن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله، فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، أيتها الرعية: إن لنا عليكم حقًا، النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة: إن للرعية عليكم حقًا، فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم الإمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله، ولا أعم من جهل إمام وخُرْقه[1]، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق بالعافية ممن هو دونه».

* وقال الحسن: إن المؤمن وقَّاف متأنٍّ وليس كحاطب ليل.

- فهذا ثناء أهل العلم على الرفق، وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور.

---

(١) خرق: بضم الخاء وسكون الراء، خرق بالشيء من باب قرب إذا لم يعرف عمله بيده فهو أخرق، أي: إذا عمل شيئًا فلم يرفق فيه.

وحينما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، عرف أنه ما من حكومة رشيدة إلا وتقيم قوائمها على العدل، فكان أول ما فعله أن نحَّى الولاة الظلمة، واختار قضاته من العلماء بما في كتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، وبما مضت به السنة، وبمن اتصفوا بالحلم والعفاف والمشاورة وعدم الاستبداد بالرأي، ولم يتركهم دون توجيه، بل كتب إليهم كتابًا بيَّن لهم فيه أصول الحكم، فقال: إذا حضرك الخصم الجاهل فمن قدر الله أن يوليك أمره وأن تُبتلى به، فرأيت منه سوء نزعة وسوء سيرة فسدِّدْه ما استطعت وبصِّره وارفق به وعلمه، فإن اهتدى وأبصر وعَلِمَ كانت نعمة من الله وفضلاً، وإن هو لم يبصر ولم يعلم، كانت حجة اتخذت بها عليه، فإن رأيت أنه أتى ذنبًا استحل فيه عقوبة فلا تعاقبه بغضب من نفسك عليه، ولكن عاقبه وأنت تتحرى الحق في قدر ذنبه بالغًا ما بلغ وإن لم يبلغ ذلك إلا قدر جلدة واحدة تجلده إياها، وإن كان ذنبه فوق ذلك ورأيت عليه من العقوبة في ذلك قتلاً فما دونه فأرجعه إلى السجن

ولا يسرعن بـك إلى عقوبتـه حضـور من يحضـرك، فإنه لعمري ربما عاقب الإمام لمحضر جلسائه ولتأديب أهل بلده ولتغامزهم به.

* جاءه رجل من مصر ينازعه في أرض له، ويدعي أن أباه عبد العزيز قد استولى عليها دون مقابل عندما كان واليًا على مصر، وألقى سمعه إلى المصري، فلو كانت الأرض له وحده لأعطاها للمصري عن طيب خاطر، ولكنها ميراث له ولإخوته، فـقال أمير المؤمنـين في لين: إن لي فيها شـركاء إخوة وأخوات، وهؤلاء لا يرضون أن أردَّ لك الضـيعة بغير القضـاء، والرأي أن تذهب إلى القاضي، واستـمع القاضي للمتـخاصمين، فقـضى للمصري، فـقال عمر: قـد أنفقنا عليها ألف درهم، فنظر القاضي فـإذا عمر وأهله قد أخذوا من غلتها بـقدر ما أنفقوا، فـقال: قد أخذتم منهـا بقدر ما أنفقتم عـليها فردوها لصاحـبها، فقـال عمر في استـبشار: بارك الله عليك أيها القاضي، وقام فرد الأرض للمصري.



العفو والتواضع والإحسان

* عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟، تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

اعلم أن معنى العفو: أن يستحق حقًا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

ومن الآثار:

عن الحسن البصري - رحمه الله -: أنه دخل على أمير يعرض له بالعفو، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب، فقال: «باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم»، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير ماذا صنع الله به؟، أداله

منهم ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله، قال: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف:٩٢)، فعفا ذلك الأمير.

* وعن ابن مسعود: أنه سرقت له دراهم، فجعلوا يدعون على من أخذها، فقال لهم: اللهم إن كان حملته على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه.

* وقال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال، فإذا أمكنتكم الفرصة فعليكم بالصفح والإفضال.

ومن الآثار:

* عن ابن عمر عن أبي بكر ﷺ جميعًا، قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديًا يوم القيامة، فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس.

* وعن مبارك بن فضالة، قال: وقد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر المنصور، قال: وكنت عنده، إذ أتى برجل، فأمر بقتله، فقلت: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر؟!، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك حديثًا سمعته من الحسن، قال: وما هو؟، قلت: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله - عَزَّ وجَلَّ - الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيقوم منادٍ فينادي: من له عند الله يد فليقم، ولا يقوم إلا من عفا، فقال أبو جعفر: والله لقد سمعته من الحسن؟!، فقلت: والله لسمعته منه، فقال: خَلَّينا عنه.

* وجاء أن سارقًا دخل خباء عمار بن ياسر رضي الله عنهما بصفِّين، فقيل له: اقطعه، فإنه من أعدائنا، فقال: بل أستر عليه، لعل الله تعالى يستر عليَّ يوم القيامة.

* وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[1].

وفي صحيح مسلم: عن عياض المجاشعي قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيبًا، فقال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد».

* وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبته».

* وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا،

---

(١) رواه مسلم.

قال: «إن الله - عزَّ وجلَّ - جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق».

وفي الآثار الصحيحة:

* أنه حينما نزل قول الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٩٩)، سأل ﷺ جبريل عليه السلام عن معنى ذلك، فقال له جبريل: حتى أسأل العليم - أي: الله سبحانه وتعالى -، ثم ذهب وأتاه فقال له: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك[1].

والآثار الصحيحة في عفوه ﷺ مستفيضة ومشهورة:

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح»، وإذا كان هذا قول

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٥).

عائشة ﵂ وإخبارها عن حلم رسول الله ﷺ وعفوه فإننا لنجد كلامها هذا واقعًا فعليًا في سلوك رسول الله ﷺ مع أصحابه بل ومع أعدائه أيضًا.

* فعن أنس ﵁ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة حتى رأيت صُفح - أو صفحة - عنق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، فقال: يا محمد، أعطني من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

* ورُوي عن عبد الله ﵁ قال: قسم رسول الله ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت: ألا لأقولن للنبي ﷺ، فأتيته وهو في أصحابه فساررته، فشق عليه وتغير وجهه، وغضب، حتى إني وددت أني لم أكن أخبرته، ثم قال ﷺ: «**أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر**».

وهذه صورة أخرى ربما كانت أقسى من الأولى التي رواها أنس، ومع ذلك فقد كان حلم رسول الله ﷺ فيها أوسع وصَفْحُه وإحسانه أكبر، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا ثم قام فقمنا، فنظرت إلى أعرابي قد أدركه فجبذه بردائه فحمَّر رقبته وكان رداؤه ﷺ خشنًا، فالتفت النبي ﷺ فقال له الأعرابي: احمل لي على بعيري هذين، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فقال النبي ﷺ: **«لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا أحمل لك حتى تُقِيدني**[1] **من جبذتك التي جبذتني»**، فكل ذلك يقول له الأعرابي: والله لا أقيدكها، فلما سمعنا قول الأعرابي أقبلنا إليه سراعًا، فالتفت إلينا النبي ﷺ، فقال: **«عزمت على من سمع كلامي ألا يبرح مكانه حتى آذن له»**، ثم دعا رجلاً فقال له:

---

(١) تقيدني: أي تمكنني من أن أقتصَّ منك بمثلها.

«احمل له على بعيريه هذين، على بعير شعيراً، وعلى الآخر تمراً»، ثم التفت إلينا، وقال: «انصرفوا على بركة الله»[1].

التواضع

من الوسائل المفيدة في دفع الغضب، والحد من الانفعالات المذمومة، وهو من الصفات الحميدة التي تدل على علو الهمة، وأصالة النفس، وقد كان رسول الله ﷺ في المرتبة الأولى في ذلك كله.

* روى أحمد والبيهقي أنه ﷺ خُيِّر بين أن يكون نبيًا ملكًا، ونبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، فقال له إسرافيل عند ذلك: فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له، أنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق الأرض عنه للبعث، وأول شافع[2]، ومع ما آتاه الله من التقدم

(١) رواه الشيخان وأبو داود.
(٢) «شرح الشفا» (١/ ٢٨٨).

والإمامة، والفضل على الأنبياء فقد كان يكره أن يفضله أحد على أنبياء الله وأن يناديه أحد بلفظ التفضيل عليهم فهذا رجل من المسلمين يناديه فيقول: يا خير البرية، فرد عليه ﷺ متواضعًا بقوله: «ذاك إبراهيم»[١].

وورد أنه استب مسلم ويهودي، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فلطمه المسلم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «لا تفضلوا بين الأنبياء، ولا تخيّروني على موسى...» الحديث[٢]، وإذا كان هذا حاله ﷺ في تواضعه لربه، وتواضعه مع إخوانه الأنبياء فلقد كان كذلك ﷺ مع أصحابه، استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥).

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.
(٢) رواه الشيخان، وأبوداود، والنسائي.

* فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تطروني كما أطرت[1] النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنما أنا عبد الله ورسوله».**

* ومن تواضعه ﷺ مع أصحابه أنه كان يكره أن يتميز عليهم في المجلس أو في السير، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ في يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد، قال: فكان الناس يمشون خلفه، فلما سمع صوت النعال وقر[2] ذلك في نفسه، فجلس حتى قدَّمهم أمامه لئلا يقع في نفسه من الكبر.

* وعن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصا، فقمنا له تعظيمًا وتكريمًا، فقال: **«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظم بعضهم**

---

(١) **الإطراء:** هو المبالغة في الثناء والمدح، وأطرت النصارى عيسى أي: نسبته إلى الله تعالى.

(٢) **وقر:** ثقل حمله.

بعضًا»، وقال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»[١].

* ودخل عليه رجل فأصابته رعدة، فقال له: «هوِّن عليك، فإني لست بملِك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[٢].

ومن صور تواضعه ﷺ تواضعه في بيته ومع أهله، فقد سُئلت السيدة عائشة ﵂: ما كان يصنع رسول الله ﷺ في بيته؟ فقالت: «كما يصنع أحدكم، يخصف[٣] نعله». ومن حديث آخر، قالت: «ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ويكون في حاجة أهله» أي يساعدهم.

وإذا كان هذا شأنه ﷺ مع أهله، فلقد كان كذلك متواضعًا مع خدمه ومع الفقراء والمساكين، وحتى الإماء،

---

(١) رواه أبو داود في «السنن».
(٢) **القديد**: اللحم المجفف.
(٣) **يخصف نعله**: أي: يرقعه ويخيطه.

فلقد كان يزور أصحابه ويخالطهم - أي: يمازحهم -، ويلاعب صغارهم، ويعول المساكين من المرضى، ويجالس الفقراء، بل ويفضل مجالسهم على غيرهم، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطًا، فلا يتحيز مجلسًا يترفع عليهم، بل يجلس حيث انتهى به المجلس.



حسن الخلق وبيانه

الخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية، من حسنة وسيئة، وجميلة وقبيحة، وهي قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها، فإذا ما ربيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق، وحب المعروف، والرغبة في الخير، وروِّضت على حب الجميل، وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعًا لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة، ودون تكلف قيل فيه: خلق حسن.

ونعتت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلف بالأخلاق الحسنة، وذلك كخلق الحياء، والحلم، والأناة، والصبر والتحمُّل، والكرم والشجاعة، والعدل والإحسان، وما إلى ذلك من الفضائل الخُلقية، والكمالات النفسية، كما أنها إذا أُهملت فلم تهذب التهذيب اللائق بها، ولم يُعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها، أو رُبِّيَت تربية سيئة

حتى أصبح القبيح محبوبًا لها والجميل مكروهًا عندها، وصارت الرذائل، والنقائص من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلف، قيل فيها: خلق سيئ، وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التي تصدر عنها بالأخلاق السيئة، وذلك كالخيانة والكذب، والجزع والطمع، والجفاء والغلظة، والفحش، والبذاء وما إليها.

ومن هنا نوَّه الإسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تربيته في المسلمين، وتنميته في نفوسهم، واعتبر إيمان العبد بفضائل نفسه، وإسلامه بحسن خُلقه، وأثنى الله تعالى على نبيه بحسن خلقه، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)، وأمره بمحاسن الأخلاق، فقال: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤)، وجعل الأخلاق الفاضلة سببًا تنال به الجنة العالية، فقال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، وبعث رسوله ﷺ بإتمامها فقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[١].

آراء السلف في بيان حسن الخلق:

عن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**»[٢].

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: في تفسير حسق الخلق، قال: هو طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

* وقال الحسن: حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى.

* وقال عبد الله بن المبارك: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال.

* وقال آخر: حسن الخلق كف الأذى، واحتمال المؤمن.

* وقال آخر: حسن الخلق أن يكون من الناس قريبًا، وفيما بينهم غريبًا.

* وقال آخر: حسن الخلق أن لا يكون لك هم غير الله تعالى.

* وقالوا في علامة ذي الخلق الحسن: أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا

وصولاً، وقوراً، صبوراً شكوراً، راضيًا حليمًا، وفيًا عفيفًا، لا لعّانًا ولا سبابًا، ولا نمامًا ولا مغتابًا، ولا عجولاً، ولا حقودًا، ولا بخيلاً، ولا حسودًا، بشاشًا هشّاشًا، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويسخط لله.

وهذا تعريف منهم لذي الخلق الحسن ببعض صفاته.

في الحديث: «**حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت**»، وقوله ﷺ لمن استوصاه: «**لا تغضب**»، يحتمل أمرين:

أحدهما - أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم والسخاء، والحلم والحياء، والتواضع والاحتمال، وكف الأذى والصفح، والعفو، وكظم الغيظ، والطلاقة، والبِشر، ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة، فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة، أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه.

والثاني ـ أن يكون المراد: لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإن الغضب إذا ملك شيئًا من بني آدم كان الآمر والناهي له، ولهذا المعنى قال الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿ولَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ (الأعراف: ١٥٤)، إذا لم يمتثل الإنسان ما يأمره به غضبه وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه شر الغضب، وربما سكن غضبه وذهب عاجلاً، وكأنه حينئذٍ لم يغضب.

فضل محاسن الأخلاق:

بيَّن ﷺ فضل محاسن الأخلاق في غيرما قول: عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء**»[1].

ـ **«والبذيء»**: هو الذي يتكلم بالفحش، ورديء الكلام.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «**تقوى الله، وحسن الخلق**»، وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «**الفم والفرج**»[1].

* وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**»[2].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**»[3].

* وقال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه فزوجوه**».

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن المؤمنين ليُدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[4].

---

(١)، (٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.
(٣) متفق عليه. (٤) رواه أبو داود.

* وقال: «إن العبد يبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة»[(١)].

* وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ريض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه»[(٢)].

- «الزعيم»: الضامن والكفيل.
- «المراء»: المخاصمة والجدال.

* وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول

---

(١) رواه الطبراني بسند جيد.
(٢) حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيقهون؟، قال: «المتكبرون»[١].

- «الثرثار»: هو كثير الكلام تكلفًا.

- «المتشدق»: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه.

- «المتفيهق»: أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه ويُغرب به تكبرًا، وارتفاعًا وإظهارًا للفضيلة على غيره.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أحبكم إليَّ: أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويُؤلفون، وإنَّ أبغضكم إليَّ: المشَّاؤون بالنميمة المفرِّقون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العيب»**[٢].

- **«الموطئون أكنافًا»**: أي: الذين جوانبهم وطيئة: أي: ممهدة ومذللة فلا يتأذى بصحبتهم أحد.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.
(٢) رواه الطبراني.

ـ «يألفون ويؤلفون»: تألف القوم، أي: اجتمعوا وتحابوا، «ألفته»: أنست به وحببته.

ـ «البرآء»: هو البريء الذي سقطت عنه التهمة.

* وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم: بسط الوجه، وحسن الخلق**»[1].

* وعن أنس: أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله، المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا فلأيهما تكون في الآخرة؟ فقال ﷺ: «**لأحسنهما خلقًا كان معها في الدنيا**» ثم قال: «**يا أم حبيبة، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة**» وقد روي عن أم سلمة نحو هذا ـ والله أعلم ـ.

---

(١) رواه البزار والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة.

من وصايا لقمان الحكيم

قال لقمان لابنه: «ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا في الحرب، ولا تعرف أخاك إلا عند الحاجة إليه».

وقال له أيضًا: «يا بني: إياك والكسل، والضجر، فإنك إن كسلت لم تؤدِّ حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على حق».

وقال أيضًا: «إذا أردت أن تؤاخي أخًا فأغضبه، فإن أنصفك وهو مغضب، وإلا فاحذره».

جماع كمال الصفات

وهي خصال حميدة، تجمع كمال الصفات وحسن الخلق، يوصي بها النبي ﷺ أمته، تبعًا لما أوصاه الله تعالى بها، يقول ﷺ: «**أوصاني ربي بتسع أوصيكم بهن:**

-خشية الله في السر والعلانية.

-والعدل في الغضب والرضا.

- **والقصد في الفقر والغنى**
- **وأن أصل من قطعني**
- **وأعطي من حرمني**
- **وأعفو عمن ظلمني**
- **وأن يكون صمتي فكرًا**
- **ونطقي ذكرًا**
- **ونظري عبرة»**[١] .

- **«والقصد»**: أي: الاعتدال.

* * *

(١) رواه رزين عن أبي هريرة.

كلمة الختام

وهكذا أخي المسلم: رأينا أن في الغضب ما هو محمود آتيًا في خير، فيجني صاحبه من ورائه الحسنات، ومنه ما هو مذموم، فتتناثر السيئات حول الغاضب بشر، فإذًا لا يستغني العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات التي اكتسبها بمباشرة حسنات تضاد آثارها تلك السيئات، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (هود:١١٤)، ففعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة، وفي الحديث: «ما من مسلم يذنب ذنبًا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له».

* وروى الإمام أحمد حديث: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

* وكما قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢)، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوا بالجميل صبرًا واحتمالاً وصفحًا وعفوًا، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥).

وتذكر ـ أخي المسلم ـ أن من صفات المتقين: كظم الغيظ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، أي: إذا قاربهم الغيظ كتموه فلم يعملوه وعفوا عمن أساء إليهم.

وفي الحديث: «**عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار، فكثروا منهما، فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب،**

وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون».

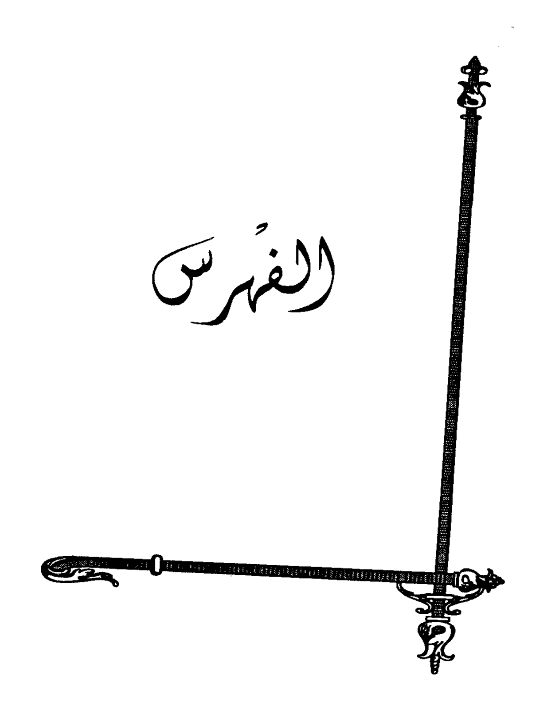
فاحذر أخي المسلم - رحمني الله وإياك -، احذر وساوس الشيطان وإغواءه واحذره في تلبيسه، وتسويله، واحذره أشد الحذر عند الغضب، وتذكر قول الخالق - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦).

عفانا الله جميعًا من الوقوع في الزلل، وقوَّانا عند الغضب وأثقل ميزان حسناتنا يوم العرض عليه، وشملنا سبحانه بعفوه وكرمه ومغفرته، إنه نعم المولى، ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

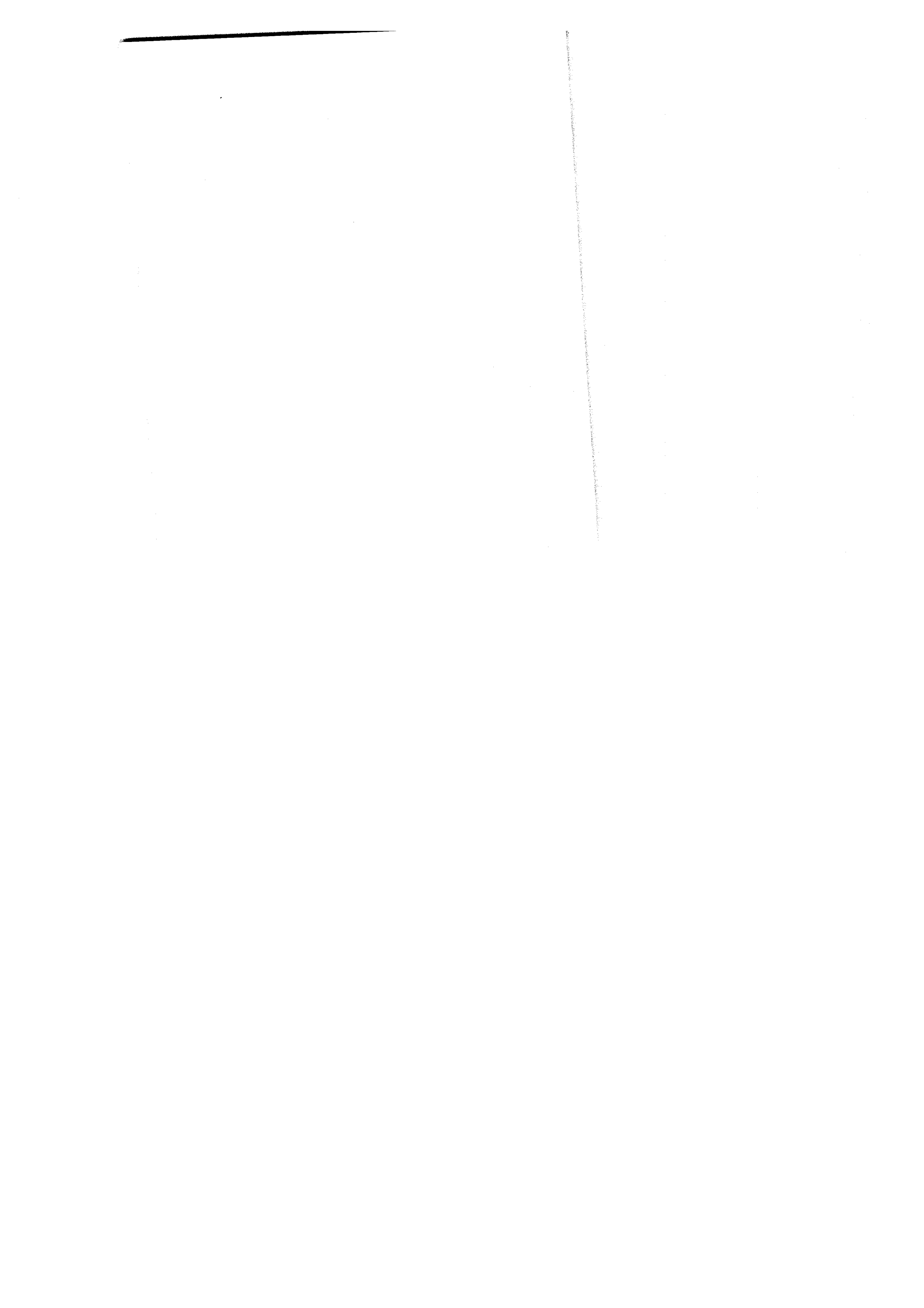


الكتب والمراجع

* القرآن الكريم.
* تفسير ابن كثير.
* مختصر تفسير الطبري.
* قصص الأنبياء.
* صحيح البخاري.
* اغاثة اللهفان.
* الوابل الصيب.
* جامع العلوم والحكم.
* الحلال والحرام في الإسلام.
* مختصر زاد الميعاد.
* فقه السيرة (د/ محمد سعيد البوطي).
* مختصر منهاج القاصدين.
* موعظة المؤمنين.
* منهاج المسلم.
* صحيح مسلم (الجزء الثامن).
* الأحاديث القدسية.



الفهرس



المحتويات

الموضوع	صفحة



من أحدث مطبوعات دار الإيمان

من أخلاق السلف

فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد فريد





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

الاغتصاب

فتوى مهمة والتعليق عليها

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين





أحسنوا الظن بربكم وإن اشتد كربكم

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



